الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العـــــالي والبحـــــث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–
كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة للحسن الوزان "وصف إفريقيا"

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبتين:
– خولة عميرة
– إيمان بوقفة

إشراف الأستاذ:
د. كمال بولعسل

لجنة المناقشة:

1–فيصل لحمر..... رئيسا
2– د. كمال بولعسل ..... مشرفا
3– خالد أقيس..... ممتحنا

السنة الجامعية:
2019 / 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أشكر الله عز وجل على نعمته وتوفيقه لي

لإتمام هذه الدراسة

أتقدم بشكر خاص لأستاذي المشرف كمال

بولعسل

قام بالإشراف والتوجيه للمذكرة على أكمل

وجه

أوجه الشكر والتمني إلى لجنة المناقشة الكل

بإسمه

وعلى الله التوفيق

مقدمة

مقدمة

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وبث فيه روح المعرفة وحب الاكتشاف و الإطلاع، من أجل الاستمرار في الحياة و بلوغ متطلباتها. التي لا تتسنى له إلا بالرحلة باعتبارها الحافز الأول الذي كان يرافق دائما ازدهار أغلب الحضارات، و التي تعتبر أيضا من أكثر الأشياء التي تحرك روح الحياة، وتعطيها نكهة التجدد والانطلاق .

تعتبر الرحلة من أبرز أنواع الفنون النثرية، المتجذرة في الأدب العربي، لما تملكه من ثراء فكري وغنى جمالي، وذلك لما تملكه من طاقة للرصد التاريخي و الجغرافي للبلدان و الممالك و الشعوب ، ينقلها لنا الرحالة انطلاقا مما شاهده وعاينه أثناء ترحاله و أسفاره.

فالرحالة يهدف إلى تدوين الأحداث التى مر بها ، والتي تكسبه بدورها خبرات جديدة ،وكم معرفي مركب عن الأماكن و الأصقاع التي يرتحل إليها .

يعتبر ظهور هذا الأدب قديما جدا في الحضارة العربية و في غيرها من الحضارات. لكنه لم ينل حظا وافرا من الدراسة، ومع تقدم العصور استطاع أن يبرز، ليصبح من بين أهم الفنون الأدبية التي لا يمكن الاستغناء عنها. لما يحتويه من معارف وقيم كثيرة أفادت البشرية سواء علي الصعيد الثقافي أو الاجتماعي أو الجغرافي. علاوة على القيم الجمالية التي يتمتع بها.

و انطلاقا من هذه الاعتبارات المعرفية و الجمالية، ارتأينا القيام ببحث تحت عنوان "صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة " "للحسن الوزان" ،حاولنا من خلاله الكشف عن الواقع المعرفي و التاريخي الذي ساد زمن ارتحال حسن الوزان و قد اتخذنا لأجل لذلك مطية منهجية، المتمثلة في إستراتيجية الصورولوجيا. وعليه فقد قمنا باستقراء و تحليل أهم الصور التي قدمها لنا الرحالة عن البلاد التي زارها وعاين عادات و ثقافات شعوبها عن كثب.

وانطلاقا من هذا الطرح رسمنا مسارات هذا البحث من خلال صياغة الإشكاليات الآتية :

- كيف كانت صورة المغرب العربي في رحلة "وصف إفريقيا""للحسن الوزان"؟
- وقد انبطقت عن هذه الإشكالية الأساسية تساؤلات أخري أهمها :
- ما مفهوم الصورة والصورولوجيا ؟
- مادا نقصد بالرحلة وأدب الرحلة؟
- ما هي أهم الصور التي تناولها الوزان في رحلته؟

وللإجابة على هده التساؤلات اعتمدنا علي خطة منهجية توضح تفاصيل هدا البحث حيث افتتحناها بمقدمة ،ثم تلاها الفصل الأول وهو عبارة عن مفاهيم حول الصورة والصورولوجيا ، ومفهوم للرحلة وأدب الرحلة ثم نشأة أدب الرحلة عند العرب وبعدها قدمنا أهم الرحالة المغاربة. أما الفصل الثاني فقد انبرى للقراءة الصورولوجية لأهم مشاهدات الرحالة الواردة في رحلته المدونة. وقد تضمن هذا الفصل بدوره عدة عناوين نفصل فيها كالآتي:

أولا: صورة الآخر في رحلة "لحسن الوزان " ، وقد شرحنا فيها تصوره للآخر ، وكيف كان حكمه عليه ثم يأتي بعدها الصور العجائبية في رحلة"الحسن الوزان". وقد كان هذا العنوان شارحا لأهم الموجودات العجيبة والغريبة التي أثارت انتباهه والتي لم يرها من قبل ، وبعدها انتقلنا إلي الصور الأنثروبولوجية في رحلته ، والتي تتضمن الجانب الاجتماعي والثقافي والفني ، وأخيرا رصدنا و حللنا الصور الإثنوغرافية ، و التي صور الرحالة فيها مجموعة من العادات والتقاليد المعروفة لدى الشعوب التي مر بها في شمال إفريقيا، ليتوج بحثنا في الأخير بخاتمة ، والتي كانت حوصلة لما جاء في المتن .

ونظرا لتوجب اتخاذ منهج معين للقيام بهذا النوع من البحوث فقد إتبعنا المنهج السيميائي الذي يعتبر الأنسب والأصلح لتحليل الصورة التي كانت عمود الرحى في البحث و عموده الفقري .

و لأجل تعزيز البحث معرفيا و إعطائه مصداقية علمية أكبر، فقد استندنا علي مجموعة من المصادر والمراجع ، ساهمت في مدّنا بالكثير من المعارف المتعلقة خاصة بموضوع الصورة والرحلات، ومن بين أهم المراجع التي تطرقنا إليها :

أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل

أدب اللرحلات لحسني فهيم

أدب الرحلة عند العرب للدكتور حسني محمود حسين.

ولأنّ كل مجهود لابدّ أن تعترضه صعوبات،فقد واجهتنا عدة عراقيل ندكر منها :

صعوبة التواصل الواقعي مع الأستاذ المشرف وكذلك مع بعضنا البعض ، نظرا للظروف الراهنة التي مرت بها البلاد والعالم ككل، والتي تمثلت في جائحة كورونا ،فاستعصى علينا جمع المعلومات و المراجع الكافية و اللازمة لانجاز هذا البحث، خاصة ما تعلق بالفصل التطبيقي.

وفي الختام لايسعنا إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف والذي كان خير عون ودليل لنا في مسارنا هذا،كما لا ننسى الشكر لكل من مدّ لنا يد العون من قريب وبعيد ، وأيضا لجنة المناقشة رئيسا وأعضاء، الذين قبلوا مناقشة هذا البحث ،ونتقدم بالشكر أيضا إلي قسم الآداب واللغات وجامعة محمد الصديق بن يحي.

الفصل الأول: مفاهيم حول الصورة والرحلة

أولا: في مفهوم الصورة والصورولوجيا

ثانيا: مفهوم الرحلة

1- في مفهوم الصورة والصورولوجيا:

تعتبر الصورولوجية علم كباقي العلوم، يدرس جانب من جوانب الحياة سواء كان محسوسًا أو ملموسا ومن خلال هذا يمكن أن ندرج عدة تعاريف للصورة على اختلافاتها وهي:

1-1الصورة وأنواعها:

1-1-1 صورة أدبية مختصرة: (vignette) بتعبير فرنسي يعني الكرمة الصغيرة (من النقوش الزخرفية التي تشبه أغصان الكرمة في المخطوطات والكتب القديمة) ، وهو ينطبق الآن عادة على اللقطات أو الأعمال الأدبية الموجزة ذات الدقة في الصياغة اللغوية والرقة في المشاعر، ويوحي التعبير بالصورة المبهجة أو الانطباع الخاطف لمشهد أو شخصية أو موقف"[1] وهو مصطلح يطلق على الأعمال الدقيقة لغويا أو أدبيا وفنيا وحسيا... الخ.كما أنه يحي بالتعبير بالصورة الأولى التي تأتي في أعيننا أو عقولنا. أي الحكم الأول الذي يوضع في عقولنا أو قلوبنا عند رؤيتنا لذلك المشهد أو الصورة المجردة للشيء.

1-1-2 الصورة الجانبية: (profile) يشير التعبير بشكل عام إلى لمحة تحدد الخطوط الخارجية المختصرة وخاصة الوجهالإنساني منظورا إليه من جانب، وفي الأدب يشير التعبير إلى شكل في الكتابة يجمع بين مادة السيرة (ترجمة الحياة) وبين تفسير الشخصية، وتقدم الصورة الجانبية تصويرا ظليا ولمحة جزئية، ولا تقدم صورة مكتملة لشخصية، وتشبه العلاقة بين الصورة الجانبية ولوحة السيرة الشخصية الكاملة من بعض النواحي العلاقة بين القصة القصيرة والرواية"[2] فهذه الصورة هنا تصور تقريبا الجزء الخارجي للشيء بشكل مختصر أي الجزء الرئيسي منه، أما في الأدب فنجدها تجمع بين الشيء وبين تفسير الشخصية لتصور لمحة جزئية عن الصورة الجانبية أي لا تصورها

[1] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، الموسوعة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقي_الجمهورية التونسية، عدد1، 1988 الثلاثية الأول 1988، ص224.

[2] نفسه، ص224.

كليا بل تكتفي بالجوانب الجزئية، فتكاد هنا هذه الأخيرة أن تكون ملخص عام لشيء ما، أو تقليص لوضعية أو فكرة محددة مثل ما نجده بين القصة القصيرة والرواية.

1-1-3 الصورة الجوهرية: (fundanental image) شخصية مركزية أو فكرة مركزية ينتظم حولها العمل الأدبي. وحينما يفرد الكاتب وجها أو سمة من موضوع أو فكرة للوصف والتناول الفني فإنه ينمي صورة جوهرية يقصد بها أن يختزل كونها كلا شاملا بادي التعقيد إلى أساس بنائي موحد"[1] والتي تتمثل هذه الأخيرة في عنصر أو شيء أساسي يقوم عليه الفن الأدبي فالكاتب هنا يتخذ سمة، أو شكل معين، من موضوع ويطوره ليجعله العنصر المهم أو الشخصية الجوهرية التي تمثل الكل بالنسبة للجزء.

1-1-4 الصورة الحسية: (Image sensuelle).

1- تمثيل« فيزيائي » لشخص أو حيوان أو شيء يرسم أو ينحت أو يصور بحيث يكون مرئيا.

2- الانطباع الذهني أو التشابه المتصور الذي تستدعيه كلمة أو عبارة أو جملة ويستطيع الكاتب أن يستخدم لغة بلاغية (من التشبهات والاستعارات) ليخلق صورًا لها من الحيوية مثل ما للصور الواقعي للأشياء والأفكار نفسها...إلخ"[2]

ويقصد بها هنا بتجريد ما هو محسوس إلى شيء ملموس ومجرد فيكون مرئيا، كما أنه يمكن للكاتب أن يوصف استعارات أو شبهات...الخ ليجعلها حاضرة واقعيا، مع حفاظه على الأفكار نفسها.

1-1-5 الصورة المهيمنة (contralling image) (المسيطرة القائدة) استعارة أو صورة تواصل البقاء طوال عمل معين وتحدد شكله وطبيعته، فالصورة المهيمنة في رواية ثيرير « الحياة السرية لوالرمتي» مثلا هي صورة

[1] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص ص 224 225.
[2] نفسه ص225.

إنسان خجول مكتئب يتحمل المضايقات المستمرة ويحاول أن يتفادى الآلية المضجرة، والصورة المهيمنة في الكثير من كتابات فوكر هي التحلل والاضمحلال وعند همنجواي الشجاعة تحاصرها الضغوط"[1].

وهذا النوع من الصور والذي يسمي بالمهيمن يمكننا ملاحظته فيّ أي رواية تقرأها، أو قصة ما لأنها تكون طاغية بصورة بائنة مثال ذلك صورة الحزن في رواية ما، أو صورة الطمع والبخل في كتاب البخلاء للجاحظ فالقارئ لهذا الكتاب مثلا سرعان ما يلاحظ صورة أو صفة البخل واضحة وطاغية فيه.

2-مفهوم الصورولوجيا:

ومن خلال ما تقدم من تعريفات مختلفة للصورة وأنواعها، ننتقل إلى الصورولوجيا أو علم الصورة وكيف أنه عرّف من قبل عدة مفكرين وباحثين عالميين. فنجده أولا مع الناقد المغربي "شعيب حليفي" في كتابه "الرحلة في الأدب العربي التجنيس، آليات الكتابة" يعرفه فيقول: تتدرج الصورة وتمثيل الآخر ضمن مبحث علم الصورة (Imagoilogie) الذي مافتئ يتوسع ويخترق عدة حقول، مكتشفا قدرته على خلق أشكال من التواصل، ما دامت هناك أشكال عدة لتحويلات لا متناهية من الملموس إلى المجرد ومن الواقعي إلى المتخيل، وتصطدم كل محاولة لضبط وظيفة الصور في مؤلف أدبي بحواجز منها التحديد[2]».

فهذا العلم هنا استطاع أن يجعل لنفسه موسعا كبيرا واختراقه لعدة حقول جعله يكون أشكال عديدة من التواصل، ما ساعده على ظهوره بعدة أنماط مختلفة واقعية وخيالية محسوسة ومجردة.. « لهذا كان علم الصورة (الصورولوجيا) حقلا موسعا للبحث وتفكيك الخطابات للوقوف على دراسة صورة مجتمع في الوعي أو في العمل الأدبي لشعب ما. من خلال التوغل في بلاغتها أو اتخاذها قطبا في مواجهة قطب آخر، بالمقارنة بين صورتين،

[1] "ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص225.

[2] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، مكتبة الندب المغربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المغرب، أبريل 2002، ص263.

وبين وعيين وصوتين وقيم عالمين أو بتعبير ريفيردي Reverdy: لا يمكنّ أن تولد الصورة من المقارنة، وإنما من واقعين متباعدين[1] ».

فعلم الصورة هنا يحاول أن يفكك كل الخطابات ليتمكن من الدراسة الصحيحة لمختلف المجتمعات والشعوب بأنواعها. وهذا لا يمكن إلا من خلال المقارنة بين صورة لبلدين أو عالمين ... الخ أي لقطبين مختلفين في الثقافة والعادات... الخ.

وعلى باب هذا القول نتصادف مع مقال في مجلة "ديالي 2012" الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر حيث يقول فيه: إن الحفر في الأرضية التاريخية لثقافات الشعوب يحيلنا على ترسبات مفهومية منبثقة عن مسلمات فكرية عميقة تؤطر ضمن مسارات تاريخية أو ثقافية أو اجتماعي تتعدى الزمنية، يسعى البحث لرصد بعض من تلك الرؤى والانطباعات من خلال الصورولوجي (Imageology)

أو ما اصطلح على تسميته بـ (علم الصورة) أو ما عرفته الترجمات بـ (الصورية) التي تعني بما يصوره الأدب في نتاجاته عن الثقافات والمجتمعات في لحظة اتصالية ما[2]» .

"عيسى الصقر"هنا يشير إلى أن الدراسة أو التطلع على تاريخ ثقافة شعب من الشعوب توصلنا إلى حوصلة عامة أو صورة واضحة عن حياة هاته الشعوب في شتى المجالات، وهذا استنادا على ما يصوره الأدب. وبالتالي تكون الصورولوجيا أو ما يسمى بعلم الصورة فتحت اتصالات ما بين الشعوب، وهذا من خلال أن الكاتب يبحث ويتطلع أن حياة الشعوب وثقافاتها ثم يصورها بفنه الأدبي، لتصل إلينا كعلم صورولوجي، وهذا كله يعتمد كل الاعتماد على شخصية الكاتب وكيف أنه يصور لنا هاته الحياة، وكذلك ثقافته الواسعة التي تساعده على تحليل عادات وثقافات الشعوب. لتصير في الأخير علم تستند إليه إذا اقتضت الضرورة. وفي هذا نجده

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص263.

[2] مهدي عيسى الصقر، الصورولوجيا في السرد الروائي، مجلة ديالي 2012، م د نوافل يونس الحمداني، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، العدد55، ص1.

يضيف قائلا: « تعد الصورولوجيا اتصالا مفتوحا أو تناقدا بين الشعوب، أو مرايا تنعكس عليها سماء الشعوب، وسماتهم المتوهجة، ولا شك في أنّ تصوير مجتمع ما وتأطير ملامحه الثقافية، يتجلى عن معرفة تختبئ في مكامن الذهن وتصوراته، تحركها التجربة، ويفعلها وينشطها التمازج الثقافي والاجتماعي، في انبثاق تلقائي يتفجر عن سياقات عامة[1]».

فهنا الصورولوجيا تكاد تكون بمثابة خط سلكي بين الشعوب فهي توصل بين شعب وآخر كما أنها تصّور الجانب الظاهري والباطني لها بشكل واضح وهذا لا يمكن أن يكون إلا بوجود خلفية معرفية وثقافية،

يستند إليها عند الحاجة وخاصة في حالة حدوث اختلاط معرفي أو جنسي .

ومن خلال ما تقدم يمكننا الوصول إلى نتيجة عامة وهي أن الصورولوجيا بمفهومها العام تركز على الأجنبي وكيف تصّوره الذات الأخرى، والتي تختلف من شخص إلى آخر كل حسب نظرته وفكرته لهذا الأجنبي، فيقتصر بذلك على عقل وثقافة الآخر التي يتركها على هذا الأخير والتي تصبح صورة متجلية فيه.

ونجد أيضا " عيسى الصقر" في تعريف آخر له عن الصورولوجيا يقول: إنّ الدراسات التي تتخذ الصورة بأشكالها المتنوعة موضوعا لها، يطلق عليها: الصورولوجيا (Imageology) أو كما تسمى في بعض الترجمات بـ (الصورية) (1) أو (علم الصورة) (2)، الذي يعني بدراسة الصور الثقافية التي رسمتها الشعوب عن بعضها المنبثقة من تحت وطأة غياب أو المنسربة من مسكوت عنه، ويهتم برصد رؤي وانطباعات المجتمعات الرابضة في مخيال الوعي الجمعي، التي تتم عن أنساق معرفية عامة، فالغوص في أعماق الذاكرة يحيلنا على تكتلات المفاهيم الصادرة عن مسلمات فكرية عميقة غير معلنة».[2]

ومن خلال هذا التعريف يمكننا أن نضيف للشرح السابق عن الصورولوجيا "وما يهدف إليه علم الصورة أنه مافتئ يخرج عن الصورة التي يتركها الآخر عن الأجنبي والتي أشرنا إليها مسبقا وكيف يرسم هذا الأخير في

[1] مهدي عيسى الصقر، مجلة ديالي2012، العدد55، ص ص 1، 2.

[2] نفسه، ص2

مخيلته الجنس أو الشعب الآخر الذي يختلف عنه في أشياء طفيفة، والذي لا يخرج عن مصطلح الوعي الجمعي، فيكاد أفراد المجتمع أو الشعب الواحد يشتركان في نظرتهم أو تصويرهم للآخر، وهذا من خلال المعرفة الثقافية التي تتمتع بها الجماعة في مكان أو منطقة أو بلد ما.

كما نجد محمد هادي مرادي في إحدى مقالاته يتحدث عن مفهوم علم الصورة حيث يكاد يتشابه مع المفهوم الذي وضعه "عيسى الصقر" فيقول في ذلك: «تعتبر الصورولوجيا أو علم الصورة فرعا من فروع الأدب المقارن وهو البحث عن صورة الآخر الأجنبي في النص الأدبي، يتيح لنا علم الصورة معرفة الإنسان للإنسان وعبر هذه المعرفة يبرز لنا الجوهر المشترك للإنسانية.... يبرهن لنا أهمية الدراسات الصورولوجية إذ لوحظ أن الصور التي تقدمها الآداب القومية للشعوب الأخرى »[1].

إنّ اعتبار الصورولوجيا أحد فروع الأدب المقارن يذهب بالقول إلى أنها لا تخرج من مباحث المقارنة، وهذا لدخول هذه الأخيرة في عالم المقارنة بين العالم الخارجي والداخلي للإنسان، واستخراج أهم الفوارق والاشتراكات.

« الصورولوجيا (Imogologie) مبحث من مباحث الأدب المقارن، يهتم بدراسة وتحليل ورصد الصور الثقافية التي تكونها (وتحملها) الشعوب عن بعضها البعض في سياق شروط موضوعية معينة، وهي تعني بالوقوف على جدلية صورة الذات وصورة الآخر في ثقافة معطاة: (أدب شفهي أو مكتوب أو مرئي) ويطلق ماراندون (Marandon)على هذا المبحث اسم: "علم الصورة" science de image ».[2]

فما ينبغي الإشارة إليه أن الصورولوجيا كذلك تعتبر أحد المباحث التي تهتم بتطوير الحياة الثقافية للشعوب. والوقوف على أهم النقاط التي يتخذها الآخر عن الّأجنبي، وحالات التأثير والتأثر، وهذا من خلال نقلها وتناقلها من الطرف المغاير، وتحقيق الانفتاح على الآخر.

[1] محمد هادي مرادي، كاوه خضري إضاءات نقدية(فصلية محكمة)، السنة الرابعة العدد الخامس عشر-خريف 1393 ش/ أيلول 2014م، ص128-151،ص1

[2] عبد النبي ذاكر، الصورة ،الأنا، الآخر، منشورات الزمن، المملكة المغربية وزارة الثقافة، العدد 43 أكتوبر 2014م، ص26.

3-مفهوم الرّحلة:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان محبا للحركة والسير والتنقل من مكان إلى آخر بغية التجديد في حياته والتطلع والاستكشاف والتعرف على أشخاص مختلفين وثقافات متنوعة تختلف باختلاف الأفراد والمجتمعات انطلاقا من هذا يمكننا القول بأن الرّحلة : من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أمّا الحركة خلال الرّحلة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه أسفار ومنه قوله تعالى: فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا."[1] وقد ورد ذكر الرّحلة في القرآن الكريم «لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ »سورة قريش الآية 1-2

فلقد كان أهل مكة يألفون الرّحلة والأسفار بغرض التجارة .

ومنه نرى بأن الرّحلة متعددة الأهداف فقد يكون غرضها ماديا من أجل كسب المال أو تحقيق بمصلحة شخصية، أو فائدة معينة [....] وفي المقابل من ذلك قد يكون غرضها معنويا يهدف إلى السياحة والاستجمام والاستطلاع على أماكن جديدة ومعرفة أناس جدد في أماكن مختلفة، يعتبر أهل مكة من أشهر الأمم الذين عرفوا الرّحلات التي كانوا يتخذونها مصدرا لعيشهم ويستخدمونها كوسيلة للتجارة، ألا وهي رحلة الشتاء والصيف التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة قريش.

ولهذا يمكن أن نذكر إن الإنسان في رحلة دائمة في هذه الحياة الدنيا منذ ولادته إلى قضاء أجله، وهذه الرّحلات بطبعها تختلف من فرد إلى آخر ومن أمة إلى أخرى، أي في استمرار دائم ليس له أجل أو حدّ معين. وكل هذا من عمره حتى ولو كان في ذلك ترويح عن النفس وتحقيق لطموحاته ومبتغياته، فهو طي لعمره واقتراب من آجاله، ولكن هذه هي سنة الحياة ومعناها الذي خلق من أجله الإنسان ويصدق على ذلك قول القائل:

[1] دكتور عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، الرّحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، شارع الطيران-الحي السابع- مدينة مصر، ط1، 1416هـ-1996م، ص15.

والمرء يفرح بالأيام يقطعها * وكل يوم مضى يدني من الأجل.[1]

وتشير كتب المؤرخين إلى أن العرب كانت لهم تجارة نشطة سافروا لها خارج أوطانهم برًا وبحرًا، وأغلب الظن أنهم عرفوا الملاحة والإبحار من قديم الزمان، "وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب إفريقيا في شمالها وشرقها، وأيضا في شرق الجزيرة في الهند وما وراءها، بدليل ما ورد في بعض المصادر أنّ الإسكندر الأكبر فكّر في غزو الجزيرة العربية وإنه ارتأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي حتى يقطع صلاتها بأسواقها، في إفريقيا والهند وهي الأسواق الرئيسية التي مونت العرب بالثراء »[2].

وكل هذا يدل على أنّ العرب منذ القديم يقوم بالرحال خارج أوطانهم وفي أماكن بعيدة من أجل التجارة شملت إفريقيا بشمالها وشرقها وكذلك الهند[....] وكانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن إن لم تدّون أخبار هذه الرّحلات تدوينا خاصا شاملًا لها أو جامعًا، اللهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر وكتب اللغة ».[3]

بمعنى هذا أن هناك رحلات كانت للعرب قديما ولكنها لم تدون لعّدة أسباب أهمها غياب الكتابة والتّدوين وغيرها من أسباب نجهلها، استثناءا عن بعضها التي وردت في بعض قصائد الشعر والكتب التي وصلت إلينا.

ولعل قول الله عز وجل في هذه الآية:«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» البقرة الآية 164

[1] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، ص ص 16.15.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ط2، تر؟ جمادى الأول1423هـ، يوليو 2002م.

[3] نفسه، ص26.

وهذه الآية دليل كبير على أنّ الله سبحانه وتعالى حثّ عباده على طلب الرزق والسعي وراءه حتى لو كان تنقلا برا أو بحرًا، والبحث والاكتشاف وكسب المنفعة والخبرة بما يفيد الإنسان خدمة للخير من خلال ما سخره له الله تعالى، من أراضي وأنعام يسترزق بها.

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن الرحلات لم تقتصر فقط على جانب الاسترزاق والبحث عن مصادر القوت.

"فالرحلات منابع ثرّة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته، يعطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها أحيانا أو ينقلها في رحلته ولا شك أنّ الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم في درجة اهتمامهم، وفي نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم، وفي تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغايرة التي يخضعون لها»[1].

ومن هنا تساعدنا الرحلات وتفيدنا في كونها تقوم بتزويدنا بالكثير من المعارف الجديدة التي ينقلها لنا الرّحالة، أثناء رحلته، وتعرفه عليها، وبالإضافة إلى ذلك نشير إلى أنّ مجمل الثقافات والمعارف التي تصلنا ترجع إلى نوع الرصيد الثقافي الذي يملكه صاحبها، وكذلك الضمير الأخلاقي الذي يتمتع به صاحبه من حيث الأمانة والصدق.

ومن هنا كان للرحلات قيمتان عظيمتان، قيمة علمية وأخرى أدبية.

3-1مفهوم أدب الرحلة:

عرف المغرب العربي عدّة فنون أدبية منذ القديم منها الشعرية والنثرية بمختلف أنواعها الحكاية والرواية والقصة والمقامة...الخ والرّحلة تعتبر من بين أهم الفنون الأدبية التي ظهرت منذ القديم وعرفت ازدهارا واستمرارا في

[1] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 (1403هـ/1983م) ص06.

مسارها الأدبي، وصفوا فيه الرّحالة ما يرون ومن يرون وجعلوا كتبهم تأخذ طابعا فنيا أدبيا، تاريخيا، وجغرافيا، حتى أصبحت أشبه بالموسوعة الثقافية، ويهتمون بكتابة رحلاتهم بأسلوب التشويق[1].

ومنه فأن أدب الرّحلة مثله مثل باقي الفنون الأدبية الأخرى المختلفة من حيث الأهمية، حيث استطاع أن يتخذ لنفسه حيزا وطابعا فنّيا، يميزه عن باقي الآداب النثرية ، ذلك من خلال أنه يقوم بوصف ما يراه من مناظر طبيعية وأماكن جديدة، ومن يرى من شخصيات لفتت انتباه الرّحالة ، ونالت اهتمامهم وانطلاقا من هذا جاء معجم المصطلحات العربية في "اللغة والأدب" أنّ أدب الرحلة هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها إلى ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته، مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد[2].

بمعناه أن المؤلف في مختلف رحلاته تنعكس لديه انطباعات حول عادات وسلوك مختلف البلدان التي ارتحل إليها. وقد تكون في وصف مراحل رحلته أو أن يلتمسها جميعا في آن واحد.

«أمّا القيمة العلمية، فقد تأتت لها ممّا تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يدونه الرّحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة خلال رحلته[...] فّإن الرّحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات ليضعها بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع مثلا، كل بحسب اختصاصه. وتفسيرها فإن كان علم الجغرافيا مثلا يدرس ظاهرات سطح الأرض الطبيعية والبشرية ويقوم منهجه في ذلك على تسجيل هذه الظاهرات وتفسيرها وتوزيعها على سطح الأرض فإن الرحالة وهو يدون مشاهدته الجغرافية على سطح الأرض إنما يعمل في خدمة هذا العلم من هذه الناحية على الأقل»[3].

[1] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر دحلب د /ط 2007، ص ص 33-34.
[2] مجدى وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1979، ص17.
[3] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص ص 6-7.

من خلال هذا نلاحظ بأن كلا من الرحالة والجغرافي يقومان بنفس المهمة تقريبا، فإذا كان الرحالة عند قيامه برحلته أو سفره يسجل كل ما يراه من الناحية الاجتماعية أو التاريخية أو الاقتصادية ويدونه كأدب، فإن الجغرافي يرتحل خصيصا إلى أحد المناطق للتعرف أو الحصول على معرفة تخدم مجاله الجغرافي، أو اكتشاف شيء معين يصبو إليه، ففي النهاية نجد بأن الجغرافي والرّحالة يحصلان على نفس النتيجة تقريبا، وهذا ما يجعلهما يشتركان في نفس النقطة، وبالتالي يكون الرّحالة قد أفاد الإنسانية وقدم خدمة كبيرة لها مثله مثل الجغرافي.

وبالرغم ما يتسم به أدب الرّحلات من تنوّع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار والوصف وغيره، فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى. وهذا ما جعل "شوقي ضيف" يعتبر أدب الرّحلة عند العرب «خير ردّ على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي تهمة قصوره في فن القصة. وقد أفاد أدب الرّحلة بغنى موضوعاته، في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة إيثارا للتعبير السهل للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه ممّا يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية »[1].

وبهذا نقول بأن القيمة الأدبية للرّحلات تكمن في أنها لها أسلوب ومواد أدبية ما جعلتها تزيد من قيمة الأدب، وإنّ أبرز ما يميز هذه الأخيرة السّرد القصصي المشوق، وهذا ما جعل شوقي ضيف يفند قصور الرحلات في فن القصة، كما أفاد هذا الأدب أصحابه في إعطائهم أسلوب سلس صحيح بعيدا عن التكلف والتزويق والتعبير المؤدي للغرض، الذي يفتقده بعض من الأدباء في هذا العصر. وهذا ما ينبهنا عليه الدكتور حسني حيث يقول: « ويمكن الإشارة أيضا على أنّ هذا الكلام لا يعني هذا إنّ الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية الأخرى، فهو يعتمد السجع أحيانا، وهو ينحو منحى الجفاف والصرامة العلمية

[1] حسني محمود حسين،أدب الرحلة عند العرب، ص ص.8-9

أحيانا أخرى خاصة في تناوله للموضوعات العلمية ومع هذا يظل مشوبا في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والاخضرار يبقيانه غضا وعلى شيئا من اللين»[1].

لافا لذلك يتضح بأن أدب الرحلة لا يخلو من بعض السلبيات التي ذكرناها سابقا خاصة في تناوله للموضوعات العلمية، « فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته فهو تارة علمي، وتارة شعبي، وهو طور واقعي وأسطوري على السواء، تكمن في المتعة، كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب، لا يوجد بديل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب »[2].

وبهذه الصفات التي يتميز بها أدب الرحلة نجد أنه قد استطاع أن يجمع مادته المعرفية ويضمنها بين الواقع والخيال مع إدخال المتعة والفائدة، استطاع بذلك أن يجعل لنفسه أدبا كافيا جامعا لشتى الجوانب.

3-2 نشأة أدب الرحلة عند العرب:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على سطح الأرض وجعل له متطلبات للحياة منها الأساسية ومنها الثانوية وجعله « محبا للحركة والتنقل، وأمّده بالعقل الذي يدعوه لذلك والجسم القوي الرشيق الذي يعينه عن الانتقال من موضع إلى آخر بحثا في البداية عن طعامه وشرابه».[3]

وهذا لأنه من غير الممكن أن يستطيع الاستمرار في حياته دون أن ينتقل من مكان لآخر وهذا لتلبية حاجياته الضرورية من غداء وشراب فطبيعة الحياة هي التي فرضت عليه ذلك فجعلته يتحدى كل العواقب والمخاوف التي تواجهه، والوصول إلى مبتغاه فركب البحار فنافس أمواجها ووحشتها وتسلق الجبال بطولها وعرضها وجال أنواع الغابات بما فيها من حيوانات خطيرة ومفترسة تفتك بحياته، وكل هذه المجازفة هي التي جعلت منه كائنا حيا يختلف عن الكائنات الأخرى، من خلال استخدامه للعقل الذي فضله به الله سبحانه وتعالى عن سائر

[1] حسني محمود حسين،أدب الرحلة عند العرب، ص9.

[2] اغناطيوس كراتشكو فسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم 1، تر، صلاح الدين عثمان هاشم، (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)، ص24.

[3] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص17.

المخلوقات الأخرى من حيوان ونبات وظواهر طبيعية بأنواعها، وفي هذا يقول "قنديل" في كتابه أدب الرحلة: «فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان وقد هيأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى، وقد كان الله قادرا كل القدرة على أن يهب السيّدة مريم الطعام كما وهب لها الولد، لكنه قال بعظيم حكمته»[1] «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً » سورة مريم الآية 25.

فالله سبحانه وتعالى يحث عباده بالحركة وعدم السكون وانتظار تحقيق حاجياته من تلقاء نفسها بل عليه أن يتحرك ويبحث ويستكشف ويشغل نفسه وجسده للحصول من تلقاء نفسها، بل عليه أن يتحرك ويبحث ويستكشف ويشغل نفسه وجسده للحصول على متطلباته وفي سياق هذا الكلام نجد هذا القول الذي يشير إلى ذلك المعروف لدى عامة الناس: « أنت عليك بالحركة والله عليه بالبركة» والآية القرآنية السابق ذكرها تفسر لنا هذا القول وتؤكد عليه، فالله سبحانه وتعالى أمر السّيدة مريم أن تهز وتحرك جذع النخلة لكي يتساقط عليها التمر.

وفي قوله تعالى أيضا: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» سورة الملك الآية 15.

فالحركة والتنقل من مكان إلى آخر تكسب الرزق والمعرفة بقدرة الله ونعمته الكبيرة التي أوجدها في الأرض حيث يقول في هذا دكتور فؤاد قنديل تشير كتب التاريخ الطبيعي والأنثربولوجيا إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل منذ نعومة أظافره إلى غاية وصوله آخر مراحل حياته، فهو في تنقل مستمر وحتى بعد أن تعلم الزراعة وعرف كيف يستقر ويبني ويؤسس المجتمعات، فظل على مدى العصور والقرون يتطلع بعينه إلى الآفاق البعيدة ولا يكف عن التفكير فيما تضمه من الخلق والموجودات وفيما تحمله من الكنوز والخيرات، خاصة حين

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص17.

تضيق به الحال ويجف الماء الضرع أو تظن الطبيعة عليه بما بملأ بطنه ويسعد قلبه فيدب في أرض الله ويجمع كل قواه في البحث عن كل ما يكمل حاجياته[1].

أمّا إذا انتقلنا إلى الرحلة عند العرب قديما فنجد أغلب كتب المؤرخين تشير إلى أن العرب اشتهروا بالرّحلات والتنقل من مكان إلى مكان بحثا عن التجارة التي كانت مصدر رزقهم فسافروا من وطن إلى وطن واجتازوا الصحاري متحملين حرها وبردها، كما أبحروا في بحار البحر المتوسط وما جاوره، وهذا ما نجده في كتاب أدب الرحلة في التراث العربي لدكتور فؤاد قنديل الذي يقول: « قد ظل الخط البحري الجنوبي إلى الهند في أيدي العرب إلى أن حاول البطالمة بعد احتلالهم لمصر فرض السيادة على هذه المناطق كما أن البطالمة لم يستطيعوا التأثير على علاقات مصر القديمة بالعرب ممثلة في المعاملات التجارية النشطة [...] وقد جاء بعدهم الرومان فواصلو سياسة أسلافهم في مزاحمة العرب في البحر فبذلوا جهودهم لتحرير مصر من الإتكال التجاري على اليمن ووضعوا لأول مرة موضع التنفيذ الكشف الذي تم في أواخر عهد البطالمة عن أسرار خطوط الملاحة في المياه الجنوبية فدخلت سفنهم المحيط الهندي، وكان ذلك إيذانا بانتهاء العصر الذهبي لعرب الجنوب».[2]

وهذا كله يؤكد على استخدام العرب للبحر في معاملاتهم التجارية بين مختلف المدن الأخرى، ما جعل البطالمة والرومان ينافسونهم عليه، ومزاحمتهم للسيطرة عليه: « ذلك العصر الذي تدل عليه بقوة وتركيز قصيدة عمر بن كلثوم الشاعر الجاهلي خاصة هذا البيت حيث يقول:

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا

فهناك الدّلائل التي تشير إلى رحلة بحرية رسمية إلى بلاد بنت في عهد خوفو فرعون مصر، الذي حكم حوالي الألف الثالثة ق.م وهناك الرّحلة البحرية الشهيرة في عهد الملكة حتشبسوت إلى بلاد بنت في حوالي

[1] فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العرب ،ص17

[2] عبد الله خور رشد البري، القبائل العربية في مصر، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، 1993، فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص27.

1500 ق.م لاستيراد البخور والعطور، وقبل هاتين الرّحلتين هناك إشارات إلى رحلة بحرية إلى الشام وجزر البحر الأبيض حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد ».[1]

فشعر عمرو بن كلثوم هذا دليل على أنه كان هناك رحلات على متن البحر والبر وفي قوله " ضاق عنا" كناية عن كثرة الترحال من مكان لآخر أمّا في قوله "نملؤه سفينا" كناية عن ازدحام البحر بسفن البحارين، وكثرة السفر في البحار، كما أنه كان هناك عدّة رحلات مشهورة عرفها العرب في مصر قديما قبل الميلاد والتي ذكرناها مسبقا. وهذا إضافة إلى وجود عدّة رحلات لم تدون، ولم تصل إلينا لأسباب مختلفة.

أما إذا انتقلنا إلى العالم الإسلامي وكيف كانت الرحلة آنذاك فسنصادف الكثير من الرحلات التي عرفها العرب منها ما دونت و « لعلّ أول رحلة في تاريخ العرب الإسلامي هي رحلة فتوحاتهم الكبرى، فقد خرجوا من جزيرتهم، وطافوا بأركان العالم الوسيط في آسيا وإفريقيا وجابوا البحر، ودخلوا الأندلس، واقتحموا جبال البرانس وتصايحوا بلغتهم وصلاتهم وآذانهم على الأبواب الجنوبية الغربية لفرنسا ونزلوا صقلية، وحوّلوها إلى سلطانهم وكانت العلاقات التجارية قائمة بين البلدان التي فتحوها، وبين البلدان والممالك المختلفة في آسيا وأوروبا، وظلت هذه العلاقات، وقامت معها علاقات سياسية، ورغبات مختلفة في نفوس الأفراد للضّرب في مجاهل الأرض واكتشاف ما وراء العالم الإسلامي من أمم وشعوب وأحوال عمران»[2].

فمما تقدم نصل إلى أن العرب في هذه الفترة لا توجد جزيرة ولا محيط ولا بحر حولهم إلاّ وامتطته أرجلهم وسفنهم، واقتحموا الأراضي المجاورة لها بداية بآسيا وإفريقيا وأوروبا، من أجل الاكتشاف ومعرفة أحوال العالم الآخر غير الإسلامي، وهذا ما سهل عليهم إنشاء علاقات تجارية متينة وناجحة التي تطورت إلى علاقات سياسية، بفضل التجّار الذين كانت لهم يدٌ طويلة في ذلك.

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة (في التراث العربي)، ص ص 28.27.

[2] شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، 1119 كورنيش النيل، القاهرة ج.م.ع الطبعة الرابعة، ص47.

ولم يدون العرب أخبار الرّحالة الأوائل، أما في القرن الثالث الهجري والمتطلع على كتبهم الجغرافية والتاريخية يلاحظ بأن العرب عرفوا معرفة دقيقة أخبار الأمم من حولهم لكثرة الرّحلات والاستكشافات التي كانوا يقومون بها من أجل الاسترزاق، ممّا يدل على كثرة الرّاحلين والسائحين الذين جابوا مختلف مناطق العالم فسجلوا ولاحظوا ثم دوّنوا[1].

ومن أقدم من يذكرونهم في هذا الباب "سلام الترجمان" الذي يقال انّ الخليفة الواثق (842-847م) أرسله في بعثة إلى بلاد الصين ليشاهد السدّ الذي بناه الاسكندر في ديار يأجوج ومأجوج، وعادت البعثة تقص على الناس أخبار الصين وعجائبها. ومن هؤلاء الرّحالة ابن وهب القرشي الذي يقال أنه استطاع لقاء ملك الصين، وعرض عليه الملك صورًا للأنبياء، ومن بينها صورة للرسول صلى الله عليه وسلم ويقال أنّ هذه الرحلة كانت في سنة (870م) وهذان الرحالتان إنما هما رمز لكثيرين وراءهما طافوا في آسيا وإفريقيا»[2].

فالرحلة هنا كانت بغرض سياحي استكشافي تقص أخبار الصين من عادات وتقاليد وما يميز شعوبها و مجتمعاتها ، و التطلّع على أهم معالمها والسد الذي بناه الاسكندر أبرزها، فالرحالة هنا استطاعوا أن يوصلوا رسالة الإسلام بشكل غير مباشر سلمي بعيد عن الحروب والسيوف كما هو الحال في البعثات الإسلامية آنذاك، فبمخالطتهم لمختلف شعوب العالم كالصين، والهند...الخ هناك من أدخلوه في الإسلام وعرفوه عليه، وهنا يكمن فضل الرّحلات والرّحالة في الإسلام خاصة وعند العرب عامة. وما زاد هؤلاء الرّحالة في حبهم للرّحلة ومواصلتهم لها هو دعوة الإسلام لذلك لما تعود هذه الأخيرة على الفرد بالخير الوفير في الدنيا وأجر كبير من الله في الآخرة « ولقد كان لسلفنا الصالح أسفار ورحلات مشهورة طبّقت شهرتها الآفاق ومن أبلغ ما ورد في الحض على الرّحلة والحث عليها أبيات تنسب إلى الإمام الشافعي – رضي الله عنه- وفيها يقول:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

[1] شوقي ضيف الرحلات، دار المعارف، ص49.

[2] نفسه،ص49.

أني رأيت كوف الماء يفسده ان ساح طاب وان لم يجر لم يطب

الأسد لولا فراق الغاب مافترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

التبر كالترب ملقي في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب

ففي هذه الأبيات الرصينة يحرض الإمام على السفر والرّحلة».[1]

الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه يدعو إلى السفر والترحال لما فيه من فوائد وخيمة وآثار جليلة على الفرد خاصة والمجتمع عامة، وفي الوقت نفسه لديها جانبين ألا وهما الأول يتمثل في المتعة والاستفتاح والتعرف على الآخرين والاستفادة منهم والتأثير فيهم والتأثر بهم والأخذ عنهم الجيد وترك الرديء، وبالثاني هو بدل المجهود وإتعاب النفس في البحث عن الحياة الأفضل وتحقيق المتعة... وكل هذا لا يأتي إلا بالكدّ والاجتهاد وتحمل الصعاب والعراقيل التي تصادفه.

والجدير بالذكر هو أنّ الدولة الإسلامية قد مهدت لتطور المعارف التي أتى بها الرحّالة، بفضل المكانة والقوة التي كانت تتمتع بها آنذاك.

وفي هذا يقول الدكتور حسني محمود: « ومع الزمن وبقوة الدولة الإسلامية بدات العلوم والمعارف في النضج عند العرب، ومن بين هذه المعارف الجغرافية الوصفية التي قامت على رحلة بعض المفكرين، والأدباء لسبب أو لآخر، فاطلعوا خلال رحلتهم على أحوال البلاد وشاهدو حياة أهلها وعاداتهم وكتبوا في مظاهر الحياة الطبيعية وغير الطبيعية، ومما يجدر الإشارة إليه أنّ غالبية هؤلاء الرّحالة المؤلفين، كانوا كتابًا، قبل كل شيء، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي ، يستندون به إلى الواقع أحيانًا، ويجنحون إلى الخيال أحيانًا أخرى.»[2]

وانطلاقا من هذا يمكن القول بأنّ بقوة الدولة الإسلامية وازدهارها ساهمت في نضوج الكثير من العلوم والمعارف التي جاء بها الرّحالون من مختلف أرجاء العالم من خلال اطلاعهم على حياة أهل هؤلاء المجتمعات

[1] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام (أنواعها وآدابها)، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 1416هـ-1996م، ص22.
[2] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص12.

وأحوالهم ونمط عيشهم، كما كتبوا في مظاهر الحياة منها الواقعية ومنها الخيالية، وما ساعد على ذلك طبيعة الرّحالة الكاتبة الحاكية، فالمتطلع على هاته الكتب أوّل ما يلاحظه غلبة الطابع القصصي الذي يجمع بين الخيال والواقع.

ومنه يمكننا القول بأن هؤلاء الرّحالة استطاعوا أن يضعوا كتب ومؤلفات لهذه الرحلات والتي عرفوا بها وهذا ما تقوله الدكتورة "سميرة أنساعد" في كتابها الرّحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري « شرع العرب في تأليف رحلاتهم منذ القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي واصطبغت مؤلفاتهم بالصبغة الجغرافية والتاريخية. وقد تميز العرب بهذه المؤلفات عن غيرهم من الأقوام، وأهم من يمثلهم ابن خرذاذبة الذي سبق ذكره (ت 272هـ) والذي نضجت بين يديه ثمار السابقين من المؤلفين في الجغرافيا أمثال النظرية شميل والجاحظ وقد ألف ابن خرداذبة كتاب "المسالك والممالك" [....] ويليه في التأليف للرّحلات جماعة من المعاصرين»[1] وبمعنى آخر فالعرب هنا لم تؤلف رحلاتهم في القرن الثالث الهجري، وكان غالب على هذه الرحلات الطابع الجغرافي والتاريخي وهذا يرجع للأسلوب الوصفي الذي كان يطغى على مؤلفاتهم وهذا ما يميزهم عن غيرهم « ومن كتّاب القرن الرّابع الهجري أحمد بن جعفر اليعقوبي (ت284) مؤلف كتاب "البلدان " والمسعودي صاحب كتاب "مروج الذهب ومعادن الجواهر"، وشارك أبو إسحاق الاصطخري في التأليف الجغرافي بكتابه المسالك والممالك، والمؤلف حوالي عام 318هـ، ثم ابن حوقل (ت 380) بكتابه صورة الأرض، ويؤلف محمد المقدسي (390هـ) بعدهما كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وهو في الطابع نفسه أي الجغرافيا ووصف البلدان، وقد عدّه أكثر الباحثين والمستشرقين على وجه الخصوص من أكبر الجغرافيين العرب آنذاك»[2] وهؤلاء من أهم كتاب القرن الرابع هجري الذين تركو مؤلفات عن الرحلات وفي هذه الفترة وصلت الرحلات إلى أوّج ذروتها من الازدهار والتطور وبلغت قدرا كبيرا من المعرفة و العلوم « حتى مشارف القرن الخامس للهجري (الحادي عشر ميلادي) هنا بدأت معالم التدهور تصيب كافة مجالات الحياة بما في ذلك الرحلات التي خبا نشاطها تدريجيا، وهزلت مادتها، فيما عدا بعض الاستثناءات التي

[1] سميرة أنساعد ،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبيئة) دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 209، ص40، ط؟.
[2] نفسه،ص ص 40.41.

نذكر من بينها رحلات أبي عبد الله اللواتي، الشهير بابن بطوطة (703-779هـ) (1304-1377م) والمؤرخ والرحالة عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ /1334-1406م)».[1]

ويفهم من خلال هذا أن التدهور الذي أصاب هذا القرن في مختلف مجالات الحياة أدى وبشكل ملحوظ إلى تراجع الرحلات بشكل سلبي بائن، لم تذكر وتدون أي رحلات في هذه الفترة وهذا بحسب ما وصل إلينا ماعدا رحلة ابن بطوطة المعروفة ورحلة المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون.

« ومما هو جدير بالذكر كما يشير أستاذ الجغرافيا صلاح الشامي .أنّ الرحلة اعتبارًا من القرن السادس الهجري (العاشر الميلادي) انطلقت على أوسع مدى وتجاوزت ديار المسلمين على أمل أن تحقق أهدافًا متنوعة، اقتصادية ،وهي تعمل لحساب التجارة ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة».[2]

وفي هذا القرن خطت الرحلات خطوة جديدة لتطوير نفسها في مختلف المجالات فبدأت اقتصادية، ودينية وإدارية ثم علمية.

وفي سياق الحديث يمكننا الإشارة إلى أنّ الرحلة العربية ابتداءً من أواخر القرن السادس الهجري، قد شهدت تحولا في اتجاه الكتابة من اعتناء بجغرافية البلدان آثارها الحضارية، إلى الاعتناء بسرد يوميات الرّحالة مع ذكر لأهم وكثير من خصوصياتهم ومشاعرهم وأفكارهم وانتقاداتهم ،وأهم أحكامهم، هذا بالإضافة إلى التحول في الطابع الأسلوبي للكتابة، كذلك فأصبح أسلوبها سرديًا وقصصيا، اتسم بالبساطة والسلاسة، وبهذا انتقلت الرحلة هنا من مرحلة الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي.[3]

[1] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، ط؟، يونيو 1989، ص79.

[2] نقلا عن صلاح الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي (الإسلام والفكر الجغرافي)، ط؟، ص95.

[3] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، ص42.

« وقد مثل الرحالة الأندلسي "محمد بن جبير" (ت 614) أحسن تمثيل للاتجاه الأدبي برحلته المعنونة " تذكار الأخبار عن اتفاقيات الأسفار" التي وصفها الدكتور حسين محمود حسين بقوله »[1]. وتقول أيضا:«إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها،المؤرخ أو جغرافي أو أديب ،يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة من الشرق الإسلامي ،وقد وقع بها صاحبها هذا الضرب ،من الصياغة الأدبية الى درجة عالية.».[2]

فالدكتور حسين هنا يؤكد لنا على أهمية المعلومات الموجودة في هذه الرحلة ومن المستحسن على كل مؤرخ أو جغرافي ..الخ ، أن يرجع إليها ،ويتزود منها لوجودها على كم هائل من الأخبار والأفكار عن حياة الشرق الإسلامي .

أما إذا انتقلنا إلى القرن السابع هجري الموافق للثالث عشر ميلادي ."لعل أهم إنجازات رحالة هذا القرن هو صدور كتاب "معجم البلدان « لياقوت الحموي(ت 626) [...] أسهم في نشر شذرات مطولة مأخوذة عن مصنفات لا تزال مفقودة حتى الآن ،وقد قدم بهذا خدمات جليلة من شأنها تصحيح مفاهيمنا عن بعض المؤلفين وإلقاء الضوء على آخرين ،لم تكن هناك أدنى إشارة إليهم والسبب في ذلك أنه كان حريصا على ذكر مصادرة مهما تعددت في المادة الواحدة.»[3]

وترجع أهمية هذا الكتاب في كونه استطاع ان ينشر ويحافظ على بعض المعلومات المهمة ، التي فقدت ،كما يقدم لنا النظرة الصحيحة عن المستحقة لبعض المؤلفين ، مبتعدا في ذلك عن الضبابية والغموض وتحدث عنهم بكل شفافية وصدق ،وبهذا استطاع تجسيد الصورة الحقيقية لهم وتصويرها لدى القارئ .

بالإضافة إلى عدة رحالات وكتب ورحّالة ، صدرت لهم كتب كثيرة لم نذكرها « ويتعين الا نغفل ذكر رحالة لم ينل ما يستحق من التقدير ،هو يوسف ابن يعقوب الدمشقي [...] الذي طوف بالجزيرة العربية وعدن

[1] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص42.

[2] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص32.

[3] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ص76.

ومضى إلى جزر المحيط الهندي وخلف لنا مادة أثنوجرافية ثمينة عن طقوس وعادات هذه البقاع [...]، وإذا انتقلنا من الشرق إلى الغرب فسوف يطالعنا الرحالة الأندلسي ابن سعيد (673هـ) الذي حطّ الرحال بعد تجوال في بلاد الشرق لأكثر من ربع القرن».[1]

فمثل هؤلاء الرحالة لا يغفل عّما قدموه وقاموا به، وهذا يرجع إلى ترحالهم الطويل حول بلدان مختلفة من الشرق إلى الغرب.

واعتبارا من القرن الثالث عشر الموافق للقرن الثامن هجري، يرى "الدكتور سيد حامد النساج" في كتابه مشوار كتب الرحلة إلى أن « طابع الرحلة في طلب العلم يطغى على كتابات كثير من الرحالة، ورحلة أبي محمد العبدري، وابن عمر عبد الله بن رشيد النشريسي مثال على ذلك، [...] بل أن منهم من ترجم لذاته وكتب سيرة حياته الشخصية [...] وقدكان ابن خلدون مجسدا لهذا الاتجاه في كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقا)».[2]

فالنساج هنا يصرح بأنّ الرحلة في هذا القرن قد اتخذت الصيغة في طلب العلم بالدرجة الأولى، والرحالة الذين ذكروا بالقول أعلاه دليل على ذلك، وابن خلدون أهم من برزوا في هذه المرحلة وهذا الاتجاه.

لننتقل بعد ذلك إلى القرن التاسع هجري وهو عصر ازدهار الرّحلات ويطلق على هذه الحقبة التاريخية بعصر التتويج في هذا الأدب. ويعتبر الرّحالة " عبد الغني النابلسي" أوّل من ابتدأ رحلته إلى بلد مجاور كما يمكننا أن نشير بالإضافة إلى ذلك أنه « ثبثت في القرن التاسع أيضا الصورة النهائية للقصص عن الرّحلات وعن البلاد الأجنبية في جميع ألوانها وأنواعها ابتداءً من الرّحلات الأسطورية إلى أوصاف الطرق العلمية [...] وقليلا ما وصلتنا أوصاف مباشرة عن ذلك، إذ أن معظمها لم يحفظ منه شيء ،وفي كثير من الأحيان تقتصر مادتنا على فقرات يسيرة أو مجرّد ذكر الموضوع دون أية تفصيلات عنه، وهذا بدوره قد يشير أحيانا إلى اتساع مجال الرّحلة،

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص ص 77.76.

[2] سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة، ص10.

ويمكننا من تكوين فكرة عن أنواع الرحلات المختلفة، وقد انتظمت الرّحلات مناطق عديدة فلم تقتصر على المشرق وحده الذي ربط العرب به تاريخ طويل من العلاقات التجارية، بل دخل في نطاقها الغرب أيضا».[1]

وعلى نافدة القول يمكننا أن نبين بأن هذه الحقبة ساعدت على نمو وتوسع القصص الرحلية التي تحكي عن البلاد الأجنبية بكل أوصافها الظاهرية والباطنية، ويرجع سبب عدم وصولها لنا كاملة وبشكل مباشر أنها لم تحظ بالتدوين أو ضياعها لأسباب مجهولة. وهناك منها من لم يصلنا كاملا لعدم حفظه نهائيا، ويمكننا أيضا أن نذكر بأن هناك عدّة أجزاء صغيرة، وعناوين لمواضيع وصلتنا دون شرحها وتفسيرها مثل ما جاءت في أصولها الأولى وهذا ما أدّى إلى اتساع مجالات الرّحلة، وهذه الرحلات تنوعت في محتواها كما تنوعت في مناطق نشوئها. وبهذا استطاعت هذه الأخيرة تجاوز حيز المشرق الذي كان مرتبطا بالعلاقات التجارية عند العرب إلى الفضاء الغربي وما فيه.

« وابتداءً من هذا العصر نلتقي بأخبار رحلات علمية فريدة في نوعها تستهدف في معظم الأحوال أغراضًا علمية ويحفظ لنا الإدريسي قصة [...] أنّ الخليفة بعث إلى اليمن أشخاصا ليعرفوا من أين يأتي العنبر، وأنهم في أثناء رحلتهم استقصوا أحوال سكان عدن وخاسك على ساحل المهرة ...الخ»[2].

فقد اهتم هذا القرن بالمجال العلمي للرحلات عن باقي المجالات الأخرى، رغبة في التطلع العلمي والمعرفة المفقودة في ذلك العصر، هذه الرغبة التي تتمثل في محاولة التعرف على أشياء وقواعد كانت مجهولة بالنسبة لهم. ومثال ذلك قصة بعث الخليفة لمعرفة مصدر العنبر الذي كان له أهمية في ذلك العصر. « ولما كانت الرحلة العربية وآدابها إحدى مرايا الحضارة العربية، فقد تقلصت نسبيا هي الأخرى خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين

[1] أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص132.
[2] نفسه، ص132.

(15.16م)، وتوقفت تقريبا خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين (17.18م)، ولا نكاد نذكر إلا رحلتي النابلسي والطرابلسي والعياشي».[1]

وعلى هذا القول فإنّ الرحلات العربية قد تراجعت خلال القرنين التاسع والعاشر هجري مقارنة بباقي العصور السابقة، التي شهدت ارتفاعا في عدد الرحلات العربية، وهذا ما نلاحظه كذلك في القرن الحادي عشر والثاني عشر هجري، إذ عرفت هذه الفترة بالركود فلم تسجل رحلات استثناءًا برحلة النابلسي والطرابلسي والعياشي ويعود هذا الوضع لأسباب اقتصادية ،سياسية ،دينية ،وجغرافية وثقافية.

ومرورا من القرن الحادي والثاني عشر هجري، إلى القرن التاسع عشر هجري يمكن القول « إنّ الرحلات العربية سرعان ما عادت إلى البزوغ والازدهار من جديد في ثوب مختلف مع السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وتحديدًا بعد الحملة الفرنسية على مصر وقد بدأها محمد عمر التونسي سنة 1903م برحلة إلى بلاد العرب والسودان وضمنها كتابه "تشحيذ الأذهان"، وتلاه الطهطاوي الذي عبر طريقا فسحا للرحلة بكتابه "تلخيص الإبريز" فسارت على دربه كوكبة كبيرة ومتألقة من الرحالة يرد ذكرهم وتفصيل رحلاتهم —إن شاء الله– في كتابنا "أدب الرحلة العربية في العصر الحديث" يتقدمهم محمد عياد الطنطاوي صاحب كتاب "تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا»[2].

فالرحلات العربية بعد التدهور والتراجع الذي مسّها، فقد استعادت هبتها وقوتها خلال القرن التاسع عشر، واستطاعت بذلك الرجوع إلى مكانتها السابقة التي تميزت بكثرة رحلاتها وتوسعها، ونشاط الرّحالة العرب، خصوصا بعد الحملة الفرنسة على مصر، التي أتاحت الفرصة لنشاطها، وزيادتها، وهذا ما حفّز الرحالة العرب النهوض بهذا النشاط. ونجد هذا خاصة مع محمد عمر التونسي سنة 1903م برحلته إلى بلاد العرب والسودان

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص ص 81.80.

[2] نفسه، ص81.

التي تعدُ أول رحلة في هذا القرن، وتلاه الطهطاوي الذي رسم طريقًا واسعًا للرحلة، بالإضافة إلى بعض الرحالة الذين ورد ذكرهم في كتاب أدب الرحلة العربية في العصر الحديث.

وانطلاقا من هذا فإنّ « الرحلات في القرن العشرين تتعدد، وتتنوع في الاتجاهات والمقاصد، ويعجز البحث عن تعداد الرحّالين المعاصرين في الوطن العربي، لكن يمكن ذكر أشهرهم، كمحمد لبيب النتنوني (1357هـ-1938م) المعروف برحلته الحجازية والشيخ محمد رشيد رضا (ت 1920)، الذي له في فن الرحلة رحلتان إلى سورية ومحمد الخضر حسين (ت337هـ-1958م)، صاحب رحلات كثيرة في المغرب والمشرق منشورة في مجالات عربية مختلفة، وأمين الريحاني (ت1940م)، الرحالة اللبناني الشهير، وغيرهم كثير ألف ولا يزال يؤلف في فن الرحلة.»[1]

فقد كثر وزاد الرحالون العرب في هذه الفترة واختلفت أهدافهم وتغيرت سبلهم وتنوعت، وهذا قد يرجع لنضوج الوعي والرغبة في الإطلاع والتفتح على مختلف البلدان الأخرى لما تحمله من علوم وتاريخ، وثقافة، تتماشى مع طبيعة حياتهم المعاصرة، وهذا ما أدى إلى تطور العلوم، ومن أمثال هؤلاء الرّحالة: البتنوني ،محمد الخضر حسين، أمين الريحاني، وغيرهم كثيرون.

وإذا أردنا أن نعرض ملامح تطور الرحلة، خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث هجري إلى غاية القرن العشرين هجري، يمكننا أن نخلص إلى أن؛ الرحلة العربية خلال مسارها قد شهدت تباينا و تذبذبا، فنلاحظ أنّ بدايتها في القرنين الثالث والرابع كانت قوية معتمدة في ذلك على الطابع الوصفي، الجغرافي، التاريخي. ومع وصول القرنين الخامس والسادس هجري تراجعت بشكل ملحوظ مع غياب التدوين فلم تسجل رحلات استثناءًا ببعضها، وصولا إلى أواخر القرن السادس هجري حتى استرجعت مكانتها بتغير الأسلوب المعتمد من العلمي إلى الأدبي، وصولا إلى القرنين الثامن والتاسع هجري، الذي ازدهر فيه أدب الرحلات باتخاذه صيغة طلب العلم فكان

[1] سميرة أنساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري، ص ص 49.48.

الغرض من هذه الرحلات علمي، كما يمكننا القول بأن هذه الفترة ساهمت في نمو وتوسع القصص الرحلية، التي تحكي عن البلاد الأجنبية.

3-3 أهم الرحالة المغاربة

3-3 -1 ابن بطوطة:

« هو أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي، ويشتهر باسم ابن بطوطة، ولد في طنجة سنة 703هـ/1304م لأسرة عنيت بالعلوم الشرعية، وعرفت بالبسطة في العيش والسعة، واهتم أبوه بتربيته، فدرس الفقه والأدب وأصبح حريسا بأن يكون قاضيا مثل كثير من أهله، ولكن داعى الحج إلى البيت الحرام دعاه، فلباه، وخرج من بلده وهو في الثانية والعشرين من عمره سنة 725هـ/1324م.»[1]

ولقد عرف على أن ابن بطوطة . لم يكن جغرافيا يهتم بالمكان اهتمامه بمقابلة الأشخاص والتحدث عنهم، وهو لم يدوّن مذكرات عن أسفاره أو لعله دوّن شيئا وضاع. فكان كل اعتماده في إملاء أخبار رحلته على ما وعته ذاكرته، وعسير مهما كان المرء من قوة الذاكرة أن يروي التفاصيل الكاملة لأحداث ربع قرن. ولهذا كانت أخبار الرجل قصصا متفرقات [....] ويشتمل كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" على وصف للرحلات الثلاث التي قام بها ابن بطوطة.[2]

ومنه فإن الرحالة ابن بطوطة خلال رحلته، لم يهتم بالتدوين والترسيخ والكتابة لجل ما لاحظه وشاهده، في سفره بل جعل منها وسيلة، لتثقيف نفسه وزيادة الخبرة المعرفية له، والاستكشاف لأمور كانت مجهولة بالنسبة له، وأماكن طالما أراد الوصول إليها بهدف الاستطلاع. وقد يعود سبب عدم تدوينه لرحلاته لكثرتها وتفرقها، بدافع أنه زار بلدان مختلفة عديدة، صعب عليه أن يدونها كلها، وأن يفصّل فيها، بل اعتمد في ذلك على ذاكرته القوية، التي أعانته على إعادة برمجة رحلاته.

[1] شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع، الطبعة الرابعة، ص95.

[2] الدكتور محمد محمود الصّياد، تراث الإنسانية . رحلة ابن بطوطة ، المجلد الثالث، ط؟، ص106.

كما يعتبر كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" مرجعا وملخصا لأهم رحلاته، حيث يقوم بوصفها جغرافيا.

وتبعا لذلك ما كاد الرحالة الكبير يستقر ببلاط فاس حتى راح يملي رحلته أو رحلاته على أحد كتاب الديوان (محمد بن محمد بن جزي الكلبي) بأمر من أبي عنان السلطان [....] أمره أن يضم أطراف ما يمليه الشيخ مشتملا في تصنيف يكون على فوائده مشتملا، ولنيل مقاصده، مكملا متوخيا تنقيع الكلام وتهذيبه معتمدا إيضاحه وتقريبه ليقع الاستماع بتلك الطرق ويعظم الانتفاع بدرها عند تجريده من الصدف.[1]

فقد اعتمدوا في كتابة هذه الرحلات على الأديب ابن جزي هذا الأخير الذي حاول نقل هذه الرحلات بدون نقص، كاملة وافية، ذلك عن طريق تصحيح بعض الثغرات التي وقع فيها الرحالة ابن بطوطة، وتنقيحها، وترتيبها حسب التسلسل الزمني، كذلك تعديل في الأسلوب المنهج، ذلك ليتناسب مع لغة عصره، لتصبح هذه الرحلات شاملة، مفصلة، لكل مكان ولكل بلد قد زاره هذا الرحّالة، هذا ما قد كشف عن بعض الحقائق التي كانت مجهولة وغامضة بعض الشيء قبل التنقيح.

ويجب الوقوف على ناحية مهمة، وهي قيمة النّص في إطاره الزماني والمكاني فهو يعكس بصدق طريقة تفكير الناس في ذلك العصر، ويظهر اهتمامهم و مواقفهم الشخصية وتقسيمهم لبعض الأحداث [...] ولا شك أن ابن بطوطة قد عكس بصدق ومصداقية صورة عصره بما فيه من عدم مصداقية للذات والآخر علاوة على سيطرة الخرافة العجائبية على عقول العامة. فابن بطوطة، بثقافته وعلمه المتواضعين، يعد مثقفا وسطا منتميا إلى الطبقة الوسطى من متعلمي المجتمع الإسلامي آنذاك، وهو لم يعد نفسه عالما منتميا إلى النخبة. [2]

[1] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص36.

[2] شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة، ينسج الواقع والخيال، مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة أستاذتي الآداب (الماجستير) بيروت، لبنان، حزيران 2003، ص ص 47.44.

ومنه فإن رحلة ابن بطوطة رحلة قد جسدت وعكست بشكل لائق طريقة تفكير وثقافة الشعوب آنذاك من خلال ملاحظاته، حول ما يتعلق بالأماكن التي قد زارها سواءً كان حول وصفه لجغرافيته ومناخه، واقتصاده وسياسته، ومدى ثقافته التي تسيطر عليها الخرافة والعجائبية، بميلهم إلى الخيال، والأسطورة، كما أنه كان بسيطا فلم يعد نفسه أحد مشاهير عصره في المجتمع الإسلامي. فهو في رحلته هذه لم يكن هدفه أن يرفع من شأنه وقيمته وإنما غرضه الأول: هو الترحال والإكتشاف، والاستطلاع على مختلف البلدان وأحوال الشعوب وطبيعة تفكيرهم وثقافتهم.

3-3-2 ابن خلدون: (732هـ-808م)

هو عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، ولد في تونس عام 732هـ وفيها نشأ وتلقى العلوم المعروفة في عصره، وتنقل في بلاد كثيرة في شبابه، ثم نزل على السلطان أبي عان المريني، صاحب تلمسان سنة 755هـ الذي ما لبث أن اعتقله وحبسه، بسبب وشاية من أحد المقربين له. وبقي ابن خلدون معتقلا حتى وفاة السلطان أبي عنان المريني فأفرج عنه الوزير ابن عمر وخلع وعوضه خيرا ثم عينه السلطان أبو سالم المريني كاتبا للسر في السلطنة، وفي عام 764هـ، سافر ابن خدون إلى الأندلس وقصد غرناطة ونزل على سلطانها أبي عبد الله الأحمر الذي بالغ في إكرامه وفي عام 765هـ رحل إلى "كاستيل" "قشالة" فمكث برهة قصيرة ثم عاد إلى غرناطة(...) وفي عام 780هـ، عاد ابن خلدون إلى مسقط رأسه تونس، ومكث فيها أربع سنوات حتى 784هـ فانتقل بعدها إلى القاهرة وجلس للتدريس في الأزهر [...] حتى توفي بمصر عام 808هـ عن عمر ناهز 76 عامًا.[1]

من أهم مؤلفاته نذكر:

« ذكر له حاجي خليفة في كشف الظنون 529/5 المؤلفات التالية:

تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي.

[1] عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، ص ص 04.03.

رحلة

شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول.

شرح قصيدة ابن عبدون.

شرح قصيدة البردي.

طبيعة العمران.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر.» [1]

وهذه هي أبر مؤلفات ابن خلدون التي تتضمن بدورها كل المواضيع التي تطرق إليها والتي قام بدراستها، من بينها مايحكي عن الرحلة.

ولقد عاش عبد الرحمان بن خلدون في فترة التمزق الداخلي للمغرب العربي، حيث انقسم إلى ثلاثة أقسام: مراكش تحت حكم بني مرين، والجزائر كان يحكمها بنو عبد الواد، وتونس يديرها بنو حفص، وعلى الرغم من الوضع المتردي الذي تعيشه بلاد المغرب فقد استمر عبد الرحمان بن خلدون يتلقى العلم على يد كبار المفكرين في تونس [....] وبعد انتقال كبار علماء العرب والمسلمين إلى فاس، لحق بهم عبد الرحمان بن خلدون وهو في السابعة عشر من عمره، فلقى كل حفاوة وتكريم من حاكم فاس أبي عنان من بني مرين وهكذا صار ينتقل في جميع بلاد المغرب العربي، وتولى مراكز سياسية مرموقة.[2]

وانطلاقا من هذا فإنّ الجغرافي عيد الرحمان بن خلدون ترعرع وكبر في ظل الاستعمار لبلاد المغرب وفي فترة متقلبة، فلم تكن هناك حرية التنقل من بلاد إلى أخرى.وهذا الأمر لم يكن مانعا وحاجزا أمام هذا الجغرافي الكبير، في تلقي العلم والعلوم من كبار المفكرين، والانتقال معهم إلى بلاد فاس هذه الأخيرة التي قدمت له تحفيزات

[1] عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، ص04.

[2] الأستاذ علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية)، مكتبة التوبة، ط؟، ص ص 215.214.

وتكريمات، شجعته على مواصلة بحثه في العلوم رغم صغر سنه. فأصبح يجوب في بلاد المغرب العربي متوليا ومسؤولا على كثير من المناصب العليا والمراكز الكبرى.

« اهتم ابن خلدون اهتماما بالغا في الجغرافية البشرية، فكان يؤول أنّ اختلاف البشر في ألوانهم وجسومهم وميولهم ونشاطهم وصفاتهم الجسمية والعقلية يعود إلى البيئة الجغرافية، يقول عز الدّين فراج في كتابه (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) كانت محاولة ابن خلدون في تفهم أثر البيئة الطبيعية من سطح ومناخ ونبات على الحياة البشرية الأساس الذي قامت عليه الجغرافية البشرية. وقد سبق ابن خلدون علماء الجغرافية المعاصرين إلى أهمية المناخ على الصفات الجسمية والعقلية وعلى سلوك الناس، وبذلك يكون ابن خلدون مؤسس الجغرافية البشرية»[1].

وعلى نافلة القول يمكن الإشارة بأنّ ابن خلدون حاز اهتمامه بدراسة الجغرافية البشرية التي تنطلق من سبب اختلاف الكائنات البشرية في ألوانهم وأجسادهم وصفاتهم... الخ، فيرجع هذا التباين والفرق إلى اختلاف البيئة الطبيعية من مناخ وّإقليم فنجد مثلا صنف من الشعوب يكون مناخها وإقليمها يتشابه فيكون لهم نفس لون البشرة ونفس الصفات من عقلية ونشاط. هذا يرجع إلى تشابه العوامل المناخية، هذا التأثير الذي قد ينعكس أيضا على السلوك الفردي، فيكون ابن خلدون هو أول من تطرق إلى هذا المنظور.

ومن ناحية أخرى يمكن الإشارة إلى أنّ « ابن خلدون لايحتل مكانة ممتازة في التطور[2]» .

العام للأدب الجغرافي العربي. كما أنه لم يترك أي أثر في الميدان على الأجيال التالية له.

ذلك قد يكون لأسباب اجتماعية إثر الأحوال التي كانت تسود في هذا القرن، فلم تسمح له الفرصة لكتابة كل ما يدور حول أدبه الجغرافي.

[1] الأستاذ علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية)، ص216.

[2] أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 444.

3-3-3الإدريسي:

« هو محمد بن محمد عبد الله بن إدريس، عاش بين سنتي 493 و560 هجرية يكنى بأبي عبد الله ويلقب بالشريف الإدريسي، كان حفيدا لإدريس الثاني الحمودي أمير مالقة، وينتمي نسبة إلى الخليفة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ، ولذا عرف بين المؤرخيين باسم الشريف الإدريسي، ولد الشريف الإدريسي بثغر سبتة المغربي، وهي مدينة في غاية الجمال تقع شمال المغرب الأقصى (وهي تحت الاستعمار الاسباني في تلك الأيام) وعندما اشتد عوده انتقل الى بلاد الأندلس تحت حكم المرابطين فتلقى تعليمه فيها واهتم بصفة خاصة»بعلم الجغرافية الذي أبدع فيه، أمّا وفاته ففيما خلاف وإن كان من المتواتر أنه توفي في صقلية.[1]

ويعد كتاب الإدريسي المعروف باسم " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" « أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافية، وهو يتبع الطريقة العربية، طريقة العرض الجغرافي القائم على المشاهدة، وتفصيل أحوال الأمم والسكان.وبيان ما بكل بلدة من عجائب البنيان والآثار ولايقف بكتابه عند وصف العالم الإسلامي، بل يضم إليه وصفًا دقيقا للعالم المسيحي في أوروبا، مفيدا من الرّحالة الذين وضعهم روجر تحت إمرته وقد أوفدهم إلى بلدان أوروبا المختلفة، ونقلوا إليه كثيرا من المعلومات عن فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأواسط أوروبا وشرقها.»[2]

إذ أنّ هذا الرحالة اهتم بما قد يشاهده في مختلف البلدان التي زارها من أحوالها وتطوراتها ومشاكلها سواءًا كانت الإجتماعية أو السياسية أو الثقافية، وإبراز أهم معالمها المشهورة التي تجعل من هذا البلد نقطة جذب واهتمام واصفًا إياها، وهذا لا ينفيّ أن يضع محل نظره أيضاً على وصف العالم المسيحي في أوروبا حيث قام بوضع جملة من الرحّالة بهدف استطلاعهم على الآثار وأحوال البلاد المسيحية ونقل أخبارها إليه. لكي يضيف مجمل ملاحظاتهم إلى ثقافته السابقة ويجمعها في كتابه المعروف "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

[1] الأستاذ علي بن عبد الله الرفاع، روّاد علم الجغرافية، (في الحضارة العربية والإسلامية)، ص ص 152.151.
[2] شوقي ضيف، الرّحلات، ص20.

ونتاج الإدريسي في مجال علم الجغرافية يتصف بالأصالة وبدرجة عالية من الدّقة وذلك نتيجة لدراسته الطويلة ورحلاته الكثيرة شرقا وغربا والمعلومات الصادقة التي وصل إليها عن طريق الرواد والرسل الذين أوفدهم لجميع أنحاء العالم لحصر المعلومات الجغرافية الثمينة الخاصة بالمسالك والحدود والبحار والأنهار والخلجان والجبال والسهول والنتاج الصناعي والزراعي. والملاحات والحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها من المعلومات التي تعتبر من مقومات علم الجغرافية، لذا ظهر نتاج الإدريسي الجغرافي متكاملا مزودًا بالخرائط الجغرافية الضرورية.[1]

ومنه فإنّ الرحالة الإدريسي من خلال نظرته الشاملة الكافية لمختلف مجالات حياة شعوب العالم بكل نواحيها، البيئية، البحرية، الجغرافية، الصناعية والزراعية والاجتماعية فإنه قد تمكن من تحصين دراسته الجغرافية وتمكينها، وزيادة قيمتها العلمية التي تجعلها متكاملة مزودة بالخرائط الجغرافية والتي تعتبر بمثابة مفاتيح لهذه الدراسة.

2-3-4 أبو أحمد التجاني:

« هو عبد الله التجاني التونسي، يكنى بأبي أحمد، ويلقب بالرحالة السياسي لا نعرف شيئا عن تاريخ ولادته، ولكن الثابت أنه من علماء القرن السابع الهجري ومن أهل تونس [...] تربى التيجاني في بيت علم وجاه، فقد كان والده كبار علماء المغرب كما كان جده وأعمامه من العلماء المرموقين المعروفين بجهودهم العلمية المتميزة فلهم مكتبة عالمية تحتوي على الكتب النادرة في جميع المعارف وخاصة العلوم الشرعية واللغوية بمدينة تونس. فعائلته عائلة عريقة مشهورة بعلمائها المرموقين ليس فقط في العلوم الشرعية واللغوية ولكن في فروع المعرفة.

اهتم أبو أحمد التجاني بكل من الجغرافية والتاريخ والأدب والفقه وذلك نابع من تشجيع والده على ذلك، حيث كان أستاذا له في العلوم الشرعية واللغوية. أمّا معلوماته في علمي الجغرافية والتاريخ فقد حصل عليها من رحلته المعروفة باسمه "رحلة التجاني "».[2]

[1] الأستاذ ، علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية)، ص 154.

[2] المرجع نفسه، ص211.

« أمّا طريق الرحلة فقد كانت على ما يلي، خرج الجمع من تونس الحاضرة إلى سوسة، ثم اتخذ القوم طريقا داخلية حملتهم إلى الجمر ثم إلى سفاقس. فقابس. ومن هذه زارت الجماعة توزر وعادت إلى قابس فتجفت حيث عرجت على جزيرة جربة، ورجعت إلى الداخل إلى غمراسن فزاورة فصبرة فطرابلس فمطراته. وكانت طريق العودة أقرب إلى الساحل بحيث لم يعرج التجاني على أي من الأماكن الداخلية.»[1]

وبهذا فإن التجاني قد أخد طريقه بداية من تونس التي يقيم فيها مرورا إلى المغرب، معتمدا في ذلك طرق داخلية ساعدته في الانتقال والترحل بشكل أسرع سَلس زائرًا في ذلك عدّة مدن مغربية، متخذا الساحل كطريق للرجوع.

كما يمكن وصف رحلة التجاني بأنها « أدب وتاريخ وجغرافية ووصف المجتمع الذي رآه وخالطه. وقد صيغت بأسلوب جميل وعبارة أنيقة، بحيث أنك تحس كأن الأشياء التي يتحدث عنها "تتقولب" أمامك، ولعله من المؤسف أنّ التجاني لم يخلف لنا وصفا لتونس، ولكن من الطبيعي أن يقيد الرحالة ما يمر به خارج منطقة عيشه وسكنه.»[2]

هذا ما يعني أنّ الرحالة التجاني قد قدم وصفا حقيقيا في رحلته لمختلف المجتمعات التي قد وطأت قدماه عليها، ويتضمن هذا أحوالهم وطريقة عيشهم، وتاريخهم إذ أن رحلته تتداخل ما بين الأدب والتاريخ والجغرافيا وهذا كله بطريقة و أسلوب راقي مبتعدا في ذلك عن العامية، التي قد تفقد بعض الهيبة لمادة الرحلة مركزا في وصفه على بعض المدن التي لم يزرها.

2-3-5 محمد الوراق:

هو محمد بن يوسف الوراق يكنى بأبي عبد الله ويلقب بالقيرواني وفي بعض الأحيان بالتاريخي أصله من وادي الحجارة بالأندلس ولد سنة 292هجرية وتوفي في قرطبة سنة 363هجرية، نشأ وترعرع أبو عبد الله الوراق

[1] نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص203.
[2] نفسه، ص205.

في القيروان فتلقى تعليمه هناك، حيث درس على يد كبار المفكرين في علمي التاريخ والجغرافية (...) ولقد كان أبو عبد الله الوراق دبلوماسيا واسع الثقافة ليس فقط في علمي الجغرافية والتاريخ، ولكن في العلوم الأخرى، فقد نال تقدير ثاني خلفاء بني أمّية في الأندلس الحكم المستنصر، لذا ترك القيروان وقدم إلى مدينة قرطبة التي كانت مكتظة بجهابذة العلوم المختلفة، وبقي هناك من أقرب الناس إلى حكام الأندلس، وداع صيته بين زملائه بأنه الخبير المتمكن بأحوال القارة الإفريقية وخاصة شمالها فكتب كتابه "مسالك إفريقية" وممالكها[1].

« هذا وقد شقت الجغرافيا الإقليمية لنفسها طريقا إلى المغرب، ويمكن أن نشير في خلال القرن العاشر إلى محمد بن يوسف الوراق (توفي عام 363هـ = 973) الذي عاش في القيروان وقرطبة وأفرد لوصف المغرب كتابا يحمل العنوان المعهود لنا "كتاب المسالك والممالك" ولم يصلنا هذا الكتاب ولكن البكرى يدين له لا بعنوان كتابه فحسب بل بمقتطفات عديدة، كما يتضح ذلك من نقوله عنه.»[2] .

وهذا ما يجدر الإشارة إليه إلى أنّ الرحالة محمد الوراق المغربي الذي ذاع صيته خلال القرن العاشر قد خصص لوصف المغرب كتابا لاقى شهرة و قبولا ويتعدى ذلك إلى الأخذ منه والنقل عنه من طرف بعض الرّحالة ويتحدث هذا الكتاب عن مسالك وملوك إفريقية.

« وممّا شجع أبا عبد الله علما المثابرة والدراسة التامة أنّ الدولة لا يمكن أن يتصل إلى مستوى حضاري بدون العلم ونتيجة لاجتهادات أبي عبد الله الوراق النابغة في علمي الجغرافية والتاريخ، استطاع أن يبتكر طريقة علمية لمزج الجغرافية والتاريخ ولهذا يعطي الكثير من المؤرخين للحضارة العربية والإسلامية، هذا الحق لأبي عبد الله الوراق وبقي المنهج متبعا مدة طويلة من الزمن»[3] فكان العالم والبحث في عصر الرحالة محمد الوراق إحدى الضروريات التي تساهم في نضج الحضارة وتقدمها، هذا ما دفع بعض الرحالة أن يستمر في بحثه ودراسته دون

[1] الأستاذ علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية، ص105.

[2] أغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص169.

[3] علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، ص107.

توقف، أو تقطع حتى وصوله إلى طريقة علمية استطاع من خلالها، جمع علمين في علم واحد، هذا ما حقق له وأعطاه منزلة واهتماما حيث ظلت هذه المنهجية متتبعة لفترة من الزمن من طرف الدارسين.

3-3-4 السيرة الذاتية للحسن الوزان:

هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي، شخصية عربية إسلامية فذة ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية، الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية، بين ساحل البحر المتوسط ومجرى وادي لاو القريب من مدينتي شفشاون، وعاشت أسرته حقبة من الزمن في الفردوس المفقود، وولد هو في مدينة غرناطة قبيل سقوطها في يد الإسبانيين ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته، فيجعلها بعضهم عام 1495/901وبعضهم عام 1500/906، انتقل مع أسرته صغيرا إلى فاس، حيث درس على أعلام القرويين الكثيرين وعلى رأسهم آنذاك الإمام محمد بن غازي المكناسي ونجده قد استهل حياته العلمية، بالانتصاب للشهادة مع عدول فاس الرسميين، ثم نجده، يجالس الفقهاء والقضاة في المدن والقرى التي يزورها خلال رحلاته العديدة فيناظرهم ويناقشهم في نوازل فقهية وفتاوى دقيقة، بالإضافة إلى ذلك فهو كاتب شاعر يحبر الرسائل وينظم القصائد فيكون محط إعجاب الرؤساء وينال من عطاياهم.

هذا النبوغ المبكر للحسن الوزان، لفت إليه نظر سلطان فاس محمد الوسطاسي المعروف بالبرتغالي فقربه إليه، ونظمه في سلك رجال بلاطه وأسندّ إليه –على حداثة سنه- مهام سياسة خطيرة في ظرف كان المغرب خلاله يشكو علّة التقسيم إلى مملكتين في الشمال والجنوب، وإمارات يتعرف حسن على المدينة العنيفة وعلى أسيادها، ويخضع إلى برنامج تعليمي مكثف فيتعلم الإيطالية والتركية، والعبرية، والتعاليم المسيحية. كما تعلم العربية، ويعطيه البابا اسمه الشخصي (ليون دومدسي) ويلقب بليون الإفريقي.

تزوج من مسيحية إيطالية والتي تعطيه ابنه الأول.

يتوفى ليون العاشر يأخذ مكانه راهب مسيحي، "لوتر" يختلف في مذهبه عن البابا المتوفى، وسجن ليون لاختلافه المذهبي وفي سجنه يتذكر بعض خصائص المسلمين التي كان يفتقدها كالصلاة.

بعد خروجه من السجن يجد أنّ راهبا آخر قد أخذ حكم روما والذي أخبر ليون عن حقيقة تواجده في روما، وهي أنّ ليون العاشر كان يريد مد جسور التعايش بين روما والمملكة العثمانية. التي تتوسع في الشرق وهذا تفاديًا للصراع الذي بين الديانتين السماويتين، وهذا ما لم يتم ذلك لأن ملك إسبانيا كان في صراع دائم، مع روما وفرنسا من جهة ومع العثمانيين من جهة أخرى.

وسط هذا الصراع تستسلم روما ويتركها ليون الإفريقي راجعا إلى إفريقيا، ويكتب سيرته الذاتية التي هي رسالة لابنه يوضح فيها هويته المتكونة من عدة انتماءات مختلفة فهو في إفريقيا ابن الرومي وفي روما، ابن الإفريقي، فيجب على الأفراد أن يقبلوه على حاله أو يتركوه فإن لم يتحمل هذا فالرحيل هو القدر والمسلك.مستقلة في الجهات النائية، واحتلال برتغالي –إسباني– لعد من الثغور المغربية على البحر المتوسط، والمحيط الأطلنطيقي، هذه المهام السياسية المسندة إلى الحسن الوزان، بالإضافة إلى النشاط الديبلوماسي، والتجاري لأسرته، هي التي دفعته إلى القيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه وتسجيل مشاهداته في مذكرات شبه يوميات غدت على ما يظهر أساس كتابه الجغرافي "وصف إفريقيا".[1]

3-3-4-1 أهم رحلاته:

- رحلة إلى الشواطيء الغربية القريبة من فاس.
- رحلة إلى وسط المغرب ،حيث زار منطقة تادلا وتافزا.
- رحلة إلى بلاد السودان؛ صحب فيها خاله الذي كان مكلفا به.
- رحلة إلى الأطلس الكبير، بحيث أنه كلف مهمة ديبلوماسية.

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،وصف إفريقيا ،ج 1 ،ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان ، ص ص 5،6،7،8

- رحلة أخرى إلى بلاد حاحا في السنة التالية، كلف بالإتصال بالأمير السعدي.
- رحلة من مراكش إلى سوس عبر ممر أمزمير.
- رحلة إلى الحجاز في أواخر عام 1516/921.
- رحلة إلى الآستانة؛ خرج فيها للقاء السلطان سليم الأول.
- الإنتقال إلى البلاد الليبية والتونسية في طريق الرجوع إلى المغرب. حيث تم القبض عليه من قبل القراصنة الإيطاليين وأسروه وأخدوه إلى نابولي ثم قدموه إلى البابا في روما هدية.[1]

4-ملخص رحلة لحسن الوزان وصف إفريقيا:

حكمتي عاشت في روما صبري في القاهرة قلقي في فاس وفي غرناطة تعيش دائما براءتي.

بهذه الجملة التي تلخص لنا حياة الرحالة "لحسن لوزان" نحاول ذكر أهم الرحلات التي قام بها، والأماكن التي مر عليها، وهذا عبر التسلسل زمني معين، وبعناوين حسب الأحداث لتلك السنوات والتي سنذكرها على التوالي:

رحلة غرناطة

يروي لحسن على لسنان أقربائه الأحداث التي ميزت هذه الفترة الزمنية (1469-1494) والذي ميزها سقوط غرناطة والأندلس بسبب الصراعات الداخلية بين حكام غرناطة. بين أبو عبد الله ووالده بسبب تفرغ هؤلاء الحكام إلى حياة اللهو والترف وبعيدا عن أمور الحكم وتبين هذه الفترة الحياة الإجتماعية التي كانت في هذه المدينة فيالقرن الخامس عشر من تعايش بين ثلاث ديانات المسيحية، اليهودية والإسلام.

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ص ص8، 9، 10

أمّا الصراعات الخارجية فكانت بين الإسلام والمسيحية في بسط النفود في إطار منطق التوسع. وقد تمثل هنا بين الغرناطيين وبين القشتاليين الإسبان، وانتهى هذا الصراع، باستلام المدينة للمسيحين ليفتح بذلك باب الهجرات الكبرى لسكان المدينة الذين اجتثوا من وطنهم ،وهذا ما كان مصير الرحالة وعائلته

- **رحلة فاس:**

مدتها الزمنية كانت مابين (1513-1494) في هذه المرحلة تعرف حسن على مجتمعه الجديد، وهنا كانت نشأته الإجتماعية بدخوله إلى مدرسة تعلم القرآن وتعلمه تعلما تامًا.

يتحدث فيها عن بعض الظواهر الإجتماعية كانتشار الأسواق والحمامات، وانتشار الطوائف، كالتي ينتمي إليها صديقه هارون.

في هذه المرحلة من حياته، يقوم حسن برحلة رفقة خاله، إلى مدينة في مالي كانت من أهم العواصم الثقافية في العصر الوسيط، دامت هذه الرحلة قرابة العامين. ويمتلك حسن من ممارسة التجارة، ثروة تصنع له مكانة مرموقة تقربه من مجلس الملك هذا الأخير الذي يكلفه بمهام دبلوماسية، ويضطر الحسن إلى ترك فاس إثر مشكلة مع الملك لكن في الطريق يفقد كل ثروته ثم يعود ثانية إلى تلك المديينة. ويشهد الحريق الهائل الذي قام فيها وجعلها رمادًا، ويكتفي حسن بقافلة متجهة إلى القاهرة فيلتصق بها . ونلتمس هنا الصراع الذي يكاد يكون مستمرا بين المسلمين والمسيحيين.

- **رحلة القاهرة:**

تتميز هذه الرحلة بتسلسل أحداث كثيرة في فترة زمنية قصيرة (1519-1513) خلال تواجده على ضفاف النيل، يجتاح القاهرة الطاعون، ويقرر الانتظار وأثناء ذلك يلتقي رجل مسيحي يسلمه مفاتيح بيته فيقرر دخول المدينة فلم يحسّ بأنه غريبا وذلك لأن أهلها تعايش معهم بسهولة.

وفي ظل فترة وجيزة أصبح لحسن في القاهرة بيت وتجارة، وعلاقات مع الضباط من مجلس الملك. وأصبح من أعيان المدينة، كما أنه تزوج من امرأة من سكان القاهرة، وبعد عودته إلى فاس يجد أنّ عائلته منبوذة من طرف الفاسيين، فيأخذهم ويرحل عنها، ويمّر أثناء ذلك بالسواحل الجزائرية، ويكلفه بمهام ديبلوماسية إلى العثمانيين ويذهب إلى القسطنطينية عاصمة العثمانيين، ويسمع عن نواياهم في اجتياح القاهرة فيعود إليها ليحذر أهلها ويخرج لمواجهة العثمانيين، لكنهم يخسرون بسبب الخيانة ووسط هذا الصراع يترك الحسن القاهرة ويتجه إلى بيت الله الحرام لأدائه فريضة الحج. وخلال عودته من هذه الرحلة اختطف من طرف قراصنة صقليين.

- **رحلة روما: (1519–1527)**

بعد أن اختطف لحسن من طرف قراصنة صقليين، يجد نفسه رفقة صديقه مقيدا بسلاسل حديدية على متن قارب يتجه إلى روما أين يقدمه القرصان الصقلي هدية لليون العاشر حاكم روما.

الفصل الثاني: أهم الصور التي تجلت في رحلة " وصف إفريقيا" للحسن الوزان

1-صورة الآخر عند لحسن الوزان:

مما لا شك فيه أنه لا يمكن أن تكون هناك دراسة سواء، كانت علمية أو أدبية خالية من الصورة ، وهذا ما تراه الدكتورة ماجدة حمود بقولها في كتاب "صورة الآخر في التراث العربي" « إن دراسة الصورة لم تقتصر على الأدب بل شملت حقولا معرفية أيضا....»[1].

وهذا يرجع إلى أن الصورة لها أهمية ، في الحقل المعرفي ولا يمكن التخلي عنها.

وبما أن الإنسان ذو طابع إجتماعي، لا يمكنه أن يعيش حياة فردية بعيدة عن أفراد المجتمع ، فطبيعة حياته هي التي تفرض عليه أن يحتك بهم ويتأثر ويؤثر فيهم ، وهذا ما يوّلد مجموعة من العلاقات التي لا يمكن أن تكون إلا بوجود طرفين مغايرين، ألا وهما الأنا والآخر. اللذان ينقلان لنا صورة عن بعضهما البعض، وهذا ما أشارت إليه ماجدة حمود في قولها « نلاحظ أن الأنا حين تنظر إلى الآخر لا تنقل صورته فقط، بل تنقل صورتها الذاتية أيضا، إذ يسهم في تشكل الصورة مجموعة من القيم والأفكار التي نؤمن بها ،كما نلمح فيها أثر العلاقات التي تقييمها الذات مع العالم ، لذلك يكاد يكون من المستحيل تجنب ألا تظهر الصورة المقدمة عن الآخر في هيئة نفي له سواء أكانت الصورة مقدمة عن المستوى الفردي من قبل الكاتب أم على المستوى الجماعي من قبل الأمة».[2]

من خلال هذا يمكننا القول بأن الأنا تنقل لنا صورتها وصورة الآخر في آن واحد ،والتي لا تتشكل إلا بحضور المبادئ والأفكار التي لا يمكن أن نستغني عنها، وبذلك يستحيل نفي صورة الآخر سواء كان الناقل فردا أو جماعة.

ومماّ يجدر الإشارة إليه هو أن في مثل هذه الدراسات يتوجب علينا،أن ننقل صورة الآخر الذي يختلف علينا لمعرفة داتنا أكثر ، وفي هذا تقول "ماجدة" «إننا لن نستطيع كشف ذواتنا وفهمها إلاّعبر لقاء الآخر

[1] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، ص12.
[2] نفسه، ص13.

[....]وبذلك تنبع النظرة للآخر من أعماق الذات ،فتصبح الصورة التي تشكلها عنه مرآة تعكس رؤيتنا لأنفسنا ، فحين ننظر بعين القداسة لذواتنا ، وننزهها عن الخطأ نبذأ عملية تشويه الآخر دون وعي منا[.....] عندئذ يحل التوتر محل التواصل الإنساني ، وينتفي مبدأ التعارف التي نادى به الإسلام « يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...»[1]

ومن خلال هذا يمكننا القول بأنّ حين ننظر للآخر لابدّ لنا أن نأخد عنه طابع معين سواء كان إيجابي أو سلبي وهذا بحسب الرغبة الإنسانية ، وبحسب الشخصية الناقلة أو المعلقة عليه ويحثنا الإسلام أيضا على التعارف والاختلاط بالآخرين لاكتشاف معارف جديدة .أما "حوليا كريستي فا" فتقول في هذا «الآخر هو انفصام لا مفر من اللقاء به إنه تعيين لحدودنا وانعكاس آني شفاف لمرحلة المرآة التي تحدث عنها جاك لاكان ، وموقفنا من الآخر الفرد أو الآخر الجماعة [...] يقوم على مدى إحساسنا بتماهيه أو انفصامه من القضايا المرتبطة بأهدافنا لكن قد يتشابه الآخر معنا، لكننا نتخذ موقفا عدائيا منه، وهدا في الغالب يعود لأفكار نمطية جامدة متوازنة عنه ن تجعلنا نعاني من عقد خوف تجاهه فترفضه وتعزله ».[2]

فجوليا هنا تشرح لنا كيف أن الذات الإنسانية ترى الآخر في صورة مغايرة للآنا ، حتى ولو كان مطابقا لها والسبب في ذلك هو الأفكار المسبقة التي ترفض الآخر والثقافة التي يحياها .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأنه من غير المعتاد أن يرتحل رحالة أو أيّ شخص عادي إلى مكان ما ، إلاّ وتنطبق في أفكاره صورا عن الآخر ، فإماّ تكون سلبية أو إيجابية، وقد يتعامل معها بالرفض أو القبول .

وفي هذا سنذكر بعض التفاصيل التي نقلها لنا الرحالة عن الآخر في رحلته الشهيرة "وصف إفريقيا".

[1] ماجدة حمود،صورة الآخر في التراث العربي، ص87

[2] صالح بريك ، الكره والتسامح مع الآخر ،منظور نفسي اجتماعي، خطوات للنشر والتوزيع ،دمشق ، ط1 ، 2010، ص81.

1-1 صورة الآخر المراكشي:

لعل من أهم الصور التي تتجسد في الآخر، التي لاحظها حسن الوزان عند مروره بمدينة مراكش ، هو وجود اختلاف بين النساء والرجال .«نساء هؤلاء السكان بارعات الجمال، بيض متوسطات البدانة في غاية الظرف واللطف، لكن الرجال ذو عنف وغيرة، يقتلون كل من أفرط في الإقتراب من نسائهم.»[1]

فهذا الإختلاف بين الجنسين واضح إلى حد ما ، الظرف واللطف في مقابله العنف والغيرة ، وجود تضاد بينهما ما يجعل النساء أفضل من الرجال ، وفي المقابل من ذلك نجدهم شجعان في قمة الشهامة وفي هذا يقول«والسكان في غاية الشجاعة عندما يحملون السلاح[...] وهم إلى ذلك في غاية الكرم».

وتعتبر هذه الصفات الحميدة أبرز ما يميزهم.

ويمكن الإشارة إلى تعدد المناطق في مملكة مراكش ، وهذا شيء طبيعي لكبر المساحة التي تحتويها هذه الأخيرة، وهذا التعدد ولّد عدة اختلافات بين السكان والتي لا يمكن أن نذكرها كلها، وسنتطرق إلى البعض منها فقط.

فمثلا في منطقة جبل الحديد ؛ يغلب على سكان هذه المنطقية الفقر لكنهم فضلاء أتقياء « هؤلاء الجبليون أمناء جائحون للسلم إذا سرق أحدهم أو ارتكب أية جريمة أخرى نفوه إلى مدة معينة، وهم مغفلون إلى أقصى حد ،إذا فعل أحد هؤلاء النسّاك أي شيء نفوه من الكرامات»[2].

نلاحظ من هذا أن هؤلاء السكان نزيهون إلى أبعد حد لدرجة أنهم يعادون ويتبرؤون من الذي يتعدى حدودهم الموسومة.

كما أن هناك سكان منطقة أخرى يتميزون بصفة تختلف عن الصفة الموجودة في جبل آخر ، وهو التوحش ونقص التربية وفي هذا يقول « وسكان هذا الجبل متوحشون لا تربية لهم، إذا رأوا حضريا عجبوا منه ومن لباسه

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1 ص101.
[2] نفسه، ص112.

وذلك ما فعلوه خلال اليومين اللذين قضيتهما عندهم ، وقد وسخوا البرنس الأبيض الذي كنت ألبسة على عادة طلبة هذه البلاد، فكل من تكلمت معه من الأعيان لمس برنسي لينظره حتى أصبح في ظرف يومين خرقة مطبخ».[1]

فهؤلاء السكان يتصفون بعدم التربية والاحترام وخاصة مع الغرباء، الذي يدخلون منطقتهم وهذا ما جعل هذا المكان لا يقصده التجار وينفرون منه.

وعند مرورنا بجبل سكسيوة، لعل أهم ما يلفت انتباهنا المدة الطويلة التي يعمّر فيها أهل هذه المنطقة « يعمر الرجال طويلا فيعيشون عادة ثمانين أو تسعين أو مائة سنة ، وشيخوختهم قوية خالية بطبيعتها من العلل التي تحملها معها السنون فهم يسيرون وراء بهائمهم إلى أن يدركهم الموت ،لايرون الأجانب مطلقا»[2].

أي أنّهم عند بلوغهم سن الشيخوخة ،تصبح حيالتهم منحصرة في رعي البهائم ،وهذا لتمتعهم بالصحة الجيدة إلى أن توافيهم المنية.

ومن المعهود لدينا أنه أينما دهبنا وحللنا وجدنا المليح والقبيح ، فكما وجدنا المتوحشون وقليلوا التربية هناك أيضا الكرماء وأهل الخير الذين يتبادلون العطايا بينهم « كنت حاضرا عندما حملت هذه الهدايا الفخمة.[...]حاملا رسالة من سيده خاطها في إحدى ثنايا ردائه وطلب من الملك أن يحل الخياطة بنفسه ليبرهن عن الإحترام الذي يكنه لسيده[...] ومع ذلك أمر الملك بأن يكرم هذا الرسول غاية الإكرام خلال الأيام القليلة التي قضاها عنده»[3].

وهذا كله يؤكد على أنه يوجد اختلاف في السكان بحسب المناطق التي يسكنونها ، فهناك مناطق يحكمها أمراء وحكام عادلون وهذا الملك خير دليل على ذلك.

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج1، ص138

[2] نفسه، ص141.

[3] نفسه، ص174.

2-1 صورة الآخر الفاسي:

لا يسعنا الحديث عن صورة الآخر المراكشي فقط ، بل يتجاوز ذلك إلى مختلف بلدان إفريقيا ومن بينها صورة الآخر الفاسي، وذكر لحسن الوزان مختلف الصفات التي تميز كل منطقة عن الأخرى ،من مناطق مملكة فاس العظمى « وكان سكان أنفا يتأنقون جدا في لباسهم بسبب العلاقات الوثيقة التي تربطهم بالتجار البرتغاليين والإنجليز ، كما كان من بينهم رجال مثقفون ماهرون»[1].

إن الإحتكاك الكبير بالغرب هو السبب الرئيسي الذي أعطى طابع الميزة والثقافة ، وكذلك الأناقة لدى هؤلاء السكان ،كما أن سكان هؤلاء المناطق يعرفون بالتعاون فيما بينهم ومع الآخرين أيضا « ولقد رأيتهم في معاملاتهم مخلصين ومهذبين جدا، ينفقون أموالا عظيمة لاكتساب صداقة الأمراء ورجال الحاشية ، ولا يفعلون ذلك جشعا واستغلالا لهم بل ليتمكنوا من العيش اللائق في تلك البلاد الغريبة»[2].

من المؤكد أن هؤلاء السكان يبحثون عن العيش بسلام لذلك نجدهم في أتمّ الإستعداد لإنفاق أموالهم على الأمراء، وهذا ليس بغرض الإستغلال أو الطمع وغيره ؛ بل من أجل الحصول على حياة بسيطة بعيدة عن الظلم والإستبداد، كما أنهم يتميزون بالإخلاص في معاملاتهم، لكن طريقة العيش عند الأفارقة تبدو بائسة وحقيرة لأنهم يتبعون عاداتهم القديمة، والتي تختلف كثيرا عن نبلاء أوروبا وهذا ليس من ناحية التغذية بل من بعض العادات التي يمارسونها « إنهم يأكلون على الأرض فوق موائد منخفضة، بدون فوط ولا أغطية من أي نوع [...]إنهم يسرعون في الأكل ولا ينسرب أحد منهم قبل أن يشبع»[3].

من الواضح أن لحسن الوزان قد صور مختلف الصور التي يتميزون بها ، حتى في طريقة عيشهم وطريقة الأكل لديهم، ولاحظ بأنها عادات تجعل من هؤلاء السكان يعيشون حياة مزرية هذا من جهة الحياة العادية،

[1] لحسن بن محمد الوزان: الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ص197.
[2] نفسه، ص209.
[3] نفسه، ص253.

لكن من ناحية الأفراح فقد صور أيضا بعض الطرق التي يتبعونها في أعراسهم فقد لاحظ بأن لهم طعم خاص، حيث أن الفتاة إذا أقبلت على الزواج تجهزت من جميع الألبسة والأفرشة والأغطية المختلفة ، ضف إلى ذلك الوسائد وغيرها مما نحتاجه ، وكذلك نقود الصداق وتزف العروس إلى زوجها على طريقتهم الخاصة « وعندما يذهب الزوج ليأخذ زوجته إلى منزله ،يدخلها أولا في صندوق من خشب مثمن الأضلاع ، ومغطى بثياب جميلة من الحرير والديباج ،ويحمل الحمالون هذا الصندوق على رؤوسهم[...] مع المزامير والأبواق والطبول وحملة المشاعل العديدة»[1].

إذن نلاحظ أن لحسن الوزان قد أخذ عدّة صور تختلف بحسب اختلاف سكان تلك المناطق في مملكة فاس.

1-3 صورة الآخر التلمساني:

ثم تتخطى صورة الآخر إلى مدينة تلمسان،التي تطرق إليها لحسن الوزان أثناء رحلته إليها وهذا ما نلاحظه، في اختلاف طبيعة سكانها.

« وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربع طبقات: الصناع والتجار والطلبة والجنود، فالتجار أناس منصفون مخلصون جدا وأمناء في تجاربهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، وهم وافرو الغنى أملاكا ونقودا».[2]

فنلاحظه من خلال هذا القول أن هذه المدينة سكانها ينقسمون حسب طبقاتهم، كل طبقة بما يميزها عن غيرها؛ فالتاجر مخلص في عمله أمين في خدمته، لذلك يكون ثقة بين أهل هذه المدينة.

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1 ،ص255.
[2] نفسه ، ص21.

ونجد كذلك طبقة أخرى تدعى طبقة الصناع، وهذا ما قال فيها الحسن « والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء، ومتعة ويحبون التمتع بالحياة»

وهذا الصنف من السكان يميلون لحياة الرغد والرفاهية معتمدين على أنفسهم لتحقيق الحياة المراد عيشها.

ينتقل في هذا إلى طبقة أخرى تدعى طبقة جنود الملك يتحدث الوزان بقوله « أما جنود الملك فكلهم أناس ممتازون يتقاضون أجرة ملائمة للغاية ،إلى حد أن أقلّهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم تعادل ثلاث "دوكان"كأن كل جندي إفريقي مفروض أن يكون فارسا محاربا».[1]

في حين نرى أن هذه الطبقة تتمتع برفاهية فأجرتها مناسبة لطبيعة حياتهم بحيث تتطلب أن يكون العامل فارسا محاربا. وفي الأخير يتحدث الوزان عن طبقة الطلبة يقول فيها:« والطلبة أفقر الناس، لأنهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم لكن عندما يرتقون إلى درجة فقهاء يعين كل واحد منهم أستاذا، أو عدلا ،أو إماما»[2].

هذه الأخيرة تعتبر الطبقة أو الفئة الذنيئة مقارنة بالطبقات السابقة الذكر ،من الناحية المادية نظرا لعدم دخولها إلى مجال العمل وهذا لا يحصل إلا بالإرتقاء وأخذ مناصب عالية.

وبالعبور إلى مدينة أخرى في تلمسان يتحدث عن بعض السلوكات التي لفتت إنتباهه يقول فيها: « يتبع ملك تلمسان مراسم شديدة، فلا يظهر إلا للعظماء ولكبار الشخصيات من رجال حاشيته، ولا يستقبل إلا هؤلاء وحدهم وهم الذين ينجزون القضايا حسب النظام المقرر، وفي هذا البلاط مناصب ومهام عديدة فالشخصية الأولى هو نائب الملك الذي يحدد الأجور [...]فتخضع له مثلما تخضع للملك»[3].

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1 ، ص21.
[2] نفسه ، ص21.
[3] نفسه، ص22.

فشخصية هذا الملك تعتبر شخصية تتبع قوانين صارمة يقتصر ظهورها إلا على كبار الشخصيات ذو قيمة ومكانة ،وهذا دليل قاطع على تكبره وعدم تواضعه في مهنته ،إذ لا يقوم بوظيفته على النحو اللازم إضافة إلى تكليف الحاشية بمهام تخصه.

ينظر أيضا إلى إقليم مغاير، لما سبقه يتحدث فيه الوزان قائلا « ثم استقمت ووضعت الرجل في الركاب ، لكنني لم أجد العنان عندما أردت إمساكه فنظرت هنا وهناك ثم ناديت الخادم ليقود مطيتي إلى المنزل، وإذا بسيافين من خدام الملك أتيا وقالا لي: يا سدي لقد سرق عنانك بغالان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا ، فرأيناه وأخذناه منهما بالقوة فانظر هل سرقا لك شيء آخر»[1].

ومن هنا يتضح لنا بعض سلوكات هذه المدينة تتلخص في السرقة التي تعودوا عليها مند الصغر، فلا ينظرون إلى هذا الفعل بذلك السوء ،بل إنها مهنة يتقاضون الأجر عليها.

وعندما ننتقل إلى مدينة أخرى نلاحظ اختلافسلوكاتهم وصورهم كل حسب طبيعته ، وهذا الإختلاف يتباين من منطقة لأخرى يقول في هذا: « يسكنها أناس كثيرون خشنون، ويشتغل معظمهم بحياكة الأقمشة إنهم أخفاء أقوياء كالأسود إعناد كل واحد منهم أن يرسم بالوشم صليبا أسود على خدّيه ويديه في كفه وتحت الأصابع».[2]

فهذه المنطقة يتميز سكانها بالخشانة والقوة ، يشغلون أنفسهم بأعمال تقليدية تميزهم عن بعض المناطق المجاورة ،يعرفون بالوشم الصليبي.

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2 ، ص27.

[2] نفسه، ص ص32 33

وانتقالا إلى مدينة أخرى تدعى مازونة، تحدث لحسن الوزان فيها قائلا:« حتى أصبحت اليوم قليلة السكان وهم إمّا نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبا فقراء، لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة.»[1]

فهذه القرية قليلة السكان يعتمدون على الفلاحة أو النسيج ،ينتمون إلى نفس الطبقة ذلك لإنشغالهمبنفس المهنة

1-4 صورة الآخر البجاوي والتونسي:

والآن سننتقل إلى وصف أناس بجاية وتونس والذي صورهم كاتب الرحلة أحسن تصوير كباقي البلدان الأخرى، وبداية بمدينة مسيلة. سكان مدينة مسيلة كما يقول الوزان أناس فقراء نوعا ما تميل حياتهم إلى البؤس وهذا بسبب تسلط الأعراب عليهم وسلبهم مداخلهم الصغيرة حيث يقول « السكان كلهم صناع أو فلاحون ،يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخلهم».[2]

لنصل بعد هذا إلى قسنطينة ، فنجده يشكرهم تارة ويذمهم تارة أخرى حيث يقول: «والقسنطنيون شجعان مقاتلون،خصوصا منهم الصناع وفيها عدد كبير من التجار[...] والقسنطنيون-إلى ذلك - مقتصدون فيما يتعلق بلباسهم متكبرون مغفلون».[3]

هذه الصفة حقيقية في سكان قسنطينة فالتكبر والغرور يتواجد فيهم إلى حد وقتنا هذا.

وتأتي بعد قسنطينة مدينة عنابة، التي يسكنها أناس من الجنس الشرس الذي لا يوجد نقاش وتحاور وتفاهم معهم، يميل أهله إلى العصبية نوعا ما متسلطين وفي هذا يقول: « إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم ، بل يتجرأون على التهديد بتسليم المدينة إلى النصارى إن لم يرسل إليهم الملك

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ص36.
[2] نفسه، ص52
[3] نفسه، ص56.

حكاما مستقيمين منصفين ، ويضيفون إلى هذه العجرفة سذاجة كبيرة، لأنهم يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين، ويعتقدون أنهم من الأولياء الصالحين، ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير».[1]

فهؤلاء القوم لهم سلوكات دنيئة جدا ، ولهم اعتقادات خاطئة فتصل بهم إلى درجة تقديس أشياء ليس لها فائدة بالأساس.

أما التبسيين فصفة البخل والغلاظة تنطبق عليهم ،ولاشك أن المار بتبسة يلاحظ ذلك لأنهم لا يحبون الغرباء خاصة « أهل تبسة بخلاء غلاظ شداد ،لا يحبون رؤية اي غريب حتى إن الدبّاغ الشاعر الشهير أسيء إليه لدى مروره بهذه المدينة ، فنظم الأبيات الآتية التي أبيت إلا أن أذكرها ، لأن هجاء هذا الشاعر يدل على الإحتقار الذي تستحقه تبسة .

لا شيء في تبسة مما هو جدير

بالتقدير والإهتمام غير شجر الجوز.»[2]

وهذه الصفة تكاد تكون منتشرة في أغلب مدن بجاية وتونس وما جاورها مما جعل المارين بها أو زوارها يحكمون عليها بالسوء، حتى أن هذا الشاعر ترك بعض الأبيات يهجو سكانها ودورها ، بالإضافة إلى هذا فإنهم يقتلون الملوك والحكام الدين يحكمونهم.

ومن خلال هذا القول ،يمكننا أن نشير إلى أن الوزان لا يذكر الجانب السلبي للآخر فقط، بل يتطرق إلى الجانب الإيجابي أيضا، فهو في الحقيقة ينقل لنا ما يراه ويلفت انتباهه بكل مصداقية بعيدا عن الذاتية ،التي يجب أن تتجسد في كل رحالة، حتى يكون عمله مثاليا وفي هذا يقول « وأهل تونس على جانب كبير من الطيوبة

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2 ،ص62

[2] نفسه، ص64

واللياقة، يرتدي الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباسا ممتازا[...] وعدد الأغنياء قليل بسبب قلة القمح»[1].

ثم يقول أيضا في نساء هذه المدينة « فإن السيدات التونسيات يرتدين لباسا حسنا ويتأنقن في زينتهن ويسترن وجوههن عندما يخرجن مثلما تفعل الفاسيات[...] لا يشتغلن بغير زينتهن وعطرهن».[2]

وهذا أهم ما أثار انتباه صاحب الرحلة في نساء تونس إذ أنهم يعطين اهتماما كبيرا لمنظرهن وجمالهن .

1-5 صورة الآخر النوميدي:

لننتقل بعد كل هذا مع الوزان في رحلته إلى نوميديا،وكيف أنه قام بتصوير الإنسان النوميدي بالنسبة إلى الانا نفسه ، والتي سنذكر البعض منها كالتالي:

يرى لحسن الوزان عند مروره بمدينة "تشت" وهي أول من وصف سكانها بأن هؤلاء القوم يقومون بعدة رحلات تجارية حتى لا يكاد يبقي في البوت إلا النصف منهم والذين يتصفون بأنهم « قبيحو المنظر سود البشرة تقريبا،لا ثقافة لهم، بل النساء هن اللاتي يتعلمن ويقمن بدور معلمات المدارس للبنات والبنين . وعندما يبلغ الصبيان الثانية عشرة من عمرهم يستخدمهم آبائهم في ممتلكاتهم[...]والنساء أكثر سمنا وبياضا من الرجال، وإذا استثنينا اللواتي يتعاطين الدراسة وغزل الصوف فإن سائر النساء يبقين عاطلات أيدهن في حزامهن»[3].

فالنساء هنا هم أعلى مرتبة وشأن من الرجال وهذا لحصولهم على التعليم ،في حين أن الصبيان ينتقلون إلى مساعدة آبائهم في اعمالهم مثل: الزراعة والصناعة...إلخ

بالإضافة إلى هذا يمكننا أن نجمع القول بأن أغلب سكان مناطق نوميديا أعراب بائسين يعيشون دائما في الفقر والجوع ومحرومين من أبسط الأشياء، باستثناء فئة قليلة جدا الذين يتصفون بالغنى بسبب تجارهم التي كانت

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2 ص75.
[2] نفسه، ص78
[3] نفسه، ص116.

أغلبها إلى بلاد السودان ، ينقلون فيها السلع ويبيعونها هناك .ويعتبر سكان منطقة "مزاب" هم أغنى سكان مملكة نوميديا وهذا لوجود الكثير من التجار بينهم.

أما إذا تحدثنا عن الكرم والضيافة فسنصادفها بدون شك في مدينة توقرت،وهي مدينة قديمة بناها النومديون يتصفون بحبهم للغرباء والضيوف إلى حد كبير « ويحب أهل تقرت الغرباء جدا ويستضيفونهم في بيوتهم بالمجان ويفضلون أن يزوجوا بناتهم للغرباء من أن يزوجوهن أهل البلاد ومن عادتهم أن يمنحوهن مهرا مكونا من عقارات ، كما هو الشأن في أوروبا ويقدمون هدايا هامة إلى الغرباء ،ولو كانوا يظنون أنهم لن يعودوإليهم أبدا وذلك لفرط كرمهم».[1]

فأهل هذه المدينة يفضلون الغرباء على أهل البلاد لدرجة أنهم يقدمون لهم فضائل ومزايا ،تعجب كل من يمر من هناك ، السكن مجانا والهدايا بلا حدود بالإضافة إلى العقارات التي تقدم في مكان المهر.

وهكذا نكون قد اكملنا الحديث عن صورة الآخر النوميدي والذي يقع في القسم الثاني من إفريقيا ،لننتقل بعدها إلى تصوير صورة أناس مختلفين من مناطق أخرى في المغرب العربي.

1-6 صورة الآخر المصري:

من منا لا يعرف مصر والحضارة المصرية العظيمة والآن سنصور بعض الصفات عن الآخر، وكيف هي عاداته وتقاليده وأهم ما يميزه وما هي أهم الاشياء التي حملها لنا الوزان نسبة إلى نفسه الأنا ونظرته للآخر.

« يكاد يكون جميع سكان هذه البلاد سمرا ،إلا المدنيين فإن بشرتهم بيضاء [...] المصريون فضلاء ظرفاء».[2]

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،ج2، ص ص135-136.

[2] نفسه، ص ص186 187

وتعتبر هذه الصفات أهم ما يميز هذه الفئة ،وبالإضافة إلى هذا لا ننسى ان نذكر بأن في هذه المملكة ينتشر عدد كبير من الصناع والتجار النبلاء الذين يحصلون على ثروات طائلة من مهنتهم هذه لأنها تعتبر المهنة الأرقى والأشرف في وقتهم ذاك فالمالك للحرفة يعتبر الناجح في حياته.

ومما يجدر الإشارة إليه في وصف صور الآخر سواء كان في مصر أو أي بلد من بلدان العالم هو أنه لا يمكن ان نحكم على أهل أي بلد بالخير أو السوء ،لأنه أينما ذهبنا وبحثنا نجد نفس الشيء فلا يمكن القول على أهل مصر أنهم كلهم كرماء أو كلهم بخلاء مثلا.

كذلك يمكن أن يختلف هؤلاء الناس من مدينة إلى أخرى ،ومن جبل إلى جبل ، مثل ما هو الحال في جميع مناطق ودول العالم لتصل إلى القاهرة وهي اكبر مدينة في مصر ويعتبر سكانها أرقى وأفضل المدن المتبقية، وهذا بالنسبة إلى الوزان ،وفي هذا يقول واصفا أناسها « سكان القاهرة أناس على جانب كبير من الظرف والمرح ،حديثهم ممتع لكن عملهم قليل ،كما هي العادة في جميع كبريات مدن العالم ،يزاولون التجارة والصناعة، إلا أنهم لا يغادرون بلادهم، ويقبل الكثير منهم على دراسة القانون ، والقليل من يدرس الآداب وعلى الرغم من أن المدارس هن أن المدارس خاصة بالطلبة فلا يستفيد منهم إلى النزر القليل »[1].

فالحسن هنا يحدد لنا بالضبط أهل القاهرة ،على أنهم أناس لا بأس بهم الجانب الاجتماعي مقبولون عموما، هذا بالنسبة له طبعا ويشير أيضا إلى أن أهلها يحبذون بلدهم على سائر البلدان، وعلى الرغم من وجود العديد من المدارس فلا فائدة منها، لأنها من نصيب القليل منهم فقط.

وعلى نافذة هذا القول لا ننسى أن نذكر نساء هاته المدينة، اللواتي يتمتعن بصفات ويقمن بحركات تثير انتباه أيّا كان ولا يعطين أي قيمة ، فهن لديهن حرية كاملة ،لدرجة أنهم لا يرضون القيام بأعمال المنزل فيضطر الزوج إلى شراء الطعام من المطاعم والإعتماد على نفسه دون محاسبتها، وفي هذا يقول الوزان « تتمتع هؤلاء

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ص216

السيدات بحرية كبيرة واستقلال كثير فإذا ذهب الزوج إلى دكانه ارتدت زوجته لباسها وتعطرت، ثم ركبت حمارا وخرجت للتنزه في المدينة وزيادة اهلها وأصحابها»[1].

فهذا السلوك يعتبر منافي للدين الإسلامي، فخروج المرأة بدون رجل ومن غير سبب لا يعد احتراما لا لدينها ولا لزوجها ،وخاصة بعد اللباس والتعطر.

وتكميلا لما ذكرناه على أهل هذه المدينة يؤكد لنا حاكي هذه الرحلة على أن سكان القاهرة ليس لديهم جانب الحشمة والحياء في حياتهم ، لدرجة أنهم يوصلون أنفسهم لشجارات مخلة بالحياء وللبرهنة على كلامنا هذا نذكر من ذلك « غالبا ما يحدث أن تشتكي امرأة إلى القاضي عدم قيام زوجها بواجبه الزوجي كل ليلة..»[2].

وهذه من بين الأمور المستحشمة بالنسبة لأي كان وليس الوزان فقط.

« ويؤكد كاتب هذه السطور أنه شاهد بالقاهرة أمورا يخجل من ذكرها لشدة خستها»[3].

2- الصورة العجائبية والغرائبية في رحلة لحسن الوزان:

من خلال جولتنا في رواية ابن الوزان صادفتنا عدة مفردات، دارت حول العجيب والغريب، يعبر فيها الرحالة عن ما لاحظه في مسيرته وأثار انتباهه، هذا ما دفعه لذكر جملة من الصور والتعبير عنها.

ونظرا لأن مراكش أولى المدن التي زارها الوزان في المغرب العربي فقد ابتدأ بها في ذكر بعض هذه الصور التي أثارت انتباهه وفي هذا يقول: « وجميع العوارض التي تحمل سقف هذا المسجد ، من عظام سمك (البلين)»[4] .

فتبين لنا هذه الصورة مدى غرابة هذا النوع من السمك، ذلك لضخامته وصلابته وقوته، الشيء الذي جعل عظامه تكون قواما لسقف المسجد وهذا الشيء الذي تعجب منه الرحالة.

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص ص216-217.
[2] نفسه،ص218.
[3] نفسه، ص218.
[4] نفسه، ص114.

إضافة إلى هذا يستمر حسن الوزان في طرح الصور الغريبة التي استحقت الذكر فيقول: « ويوجد في هذه البلاد على شاطئ البحر عنبر من الدرجة الأولى يباع بأبخس الأثمان، إلى التجار البرتغاليين والفاسيين يكاد يقل ثمن الأوقية منه عن مثقال ،يقول الكثير من الناس أن هذا السمك الضخم هو الذي ينتج هذا العنبر، فيزعم البعض بأنه برازه ،ويزعم آخرون بأنه المدي الذي يسيل من جهاز الذكر عندما يريد أن يدنو من الأنثى فيتجمد في البحر».[1]

هنا يصور لنا لحسن الوزان ظاهرة أخرى عجيبة، لم يقابلها من قبل، تدل على مدى عظمة هذا النوع من السمك الذي يفرز العنبر إلا أن الوزان لم يقتنع كثيرا بهذا الزعم.

وفي صورة غريبة يقول أيضا:«قتل حتى الاطفال الصغار، وبقر بطون النساء الحوامل، وأخرج الأجنة ومزقها إربا على صدور الأمهات، بحيث ذاقوا مرارة الموت قبل أن يعرفوا حلاوة الحياة».[2]

فالرحالة هنا في هذه الصورة قد عبر عن وحشية وقساوة هذا الرجل في معاملته مع أهل هذه المدينة، الذي يبعث عن الفزع والرعب والذهول .

ينتقل الوزان إلى صورة أخرى لفتت نظره استحقت الذكر يقول فيها:« وفي وسط القصبة جامع في غاية البهاء تعلوه صومعة متناهية الجمال ،كذلك في أعلاها ركز عمود فيه ثلاث تفاحات من ذهب ، تزن مائة وثلاثون ألف مثقال إفريقي، أكبرها السفلي وأصغرها العليا وقد أراد كثير من الملوك أن يزيلو هذه التفاحات ويسكوها نقودا ،عندما اشتدت حاجتهم إلى المال، ولكنهم في كل مرة تحدث لهم حادثة غريبة ،تلزمهم بتركها في محلها حتى أنهم تطيروا من مسها".[3]

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص115.
[2] نفسه، ص123.
[3] نفسه، ص131.

والعجيب في نظر الرحالة لهذه الصورة هو عدم قدرة ملوك هذه المدينة من لمسها وبيعها، ومنّ أراد ذلك رصدته تلك الأرواح التي أمنوها عليها.

ينتقل الوزان في ملاحظاته للصور العجيبة والغريبة منها إلى مدينة فاس ، بحيث صادف الكثير منها قام بذكرها والتعليق عليها حيث يتحدث قائلا: « يسخن الحمام بالزبل، ويعمل عند الحمامين غلمان وبغالون يجوبون أرجاء المدينة،ليشروا الزبل من الإصطبلات وينقلوه إلى خارج المدينة ، ثم يجعلوه أكداسا، ويتركوه ليجف شهرين أو ثلاثة أشهر، وبعد ذلك يستعمل كالحطب في تسخين القاعات وماء الحمامات»[1].

لقد أفصح الرحالة هنا عن صورة غريبة لم يشاهدها من قبل في مكان ما كون هذه الطريقة في تسخين الحمامات مثيرة، إذ تعتبر فطنة و ذكاء لأصحاب هذه المدينة.

ويضيف إلى هذا قائلا:« ويجب الا نعقل ذكر عادة الغلمان المستخدمين في هذه الحمامات، بإقامته حفل سنوي على الشكل التالي: يستدعون جميع أصحابهم ويذهبون إلى خارج المدينة، وبعد ذلك يقتلعون بصلة زنبق يضعونها في إناء جميل من نحاس يغطونه ببساط صغير [...] حيث يضعون البصلة في سلة يعلقونها على الباب قائلين: «سيكون هذا سبب ازدهار الحمام إذ سيقصده الكثير من الناس»[2].

وهذه صورة غريبة، نظرا لاعتبارهم أن بصلة الزنبق قد تجلب لهم البركة والحظ والمال الوفير ذلك بجلب الناس إلى الحمامات، والتي تعتبر بذلك قربانا.

كما يتكلم صاحبنا الوزان في محطة أخرى عن الاشياء التي تعجب منها:« ولا يسكن الغرباء وحدهم هذه الفنادق، بل جميع الرجال الأرامل من أهل المدينة الذين لا منزل لهم ولا أهل[...] وأسوء ما في هذا الأمر مساكنة رهط يقال لهم"الهيوى" وهم رجال يرتدون ثياب النساء ويتحلون بحليهم يحلقون لحائهم ويقلدون النساء حتى في

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ، ص ص 229 230.

[2] نفسه، ص230-231.

طريقة كلامهن، وماذا عساي أقول في أسلوب كلامهم؟ إنهم يتغنجون أيضا ولكل واحد من هؤلاء الأنذال ،صاحب يشراه ويعاشره كما تعاشر المرأة زوجها».[1]

يتحدث لحسن عن هذه الصورة نظرا لما تتخلله من قلة حياء، تلخص لنا طباع هذه الفئة من الرجال، الذين يتشبهون بالنساء ويمارسون الفاحشة وهذا ما قد يراه الرحالة أول مرة في هذه البلاد.

إضافة إلى هذا يجد الوزان صورا جديدة في إحدى مناطق فاس النبي تعجب منها وأثارت حيرته يقول فيها: « وربما كانت أشد عقوبة تطبق على المرجم هي جلده بمحضر العامل مائة جلدة أو مائتين ،أو أكثر وبعد الجلد يقوم الجلاد بوضع سلسلة من الحديد في عنق المحكوم عليه، ثم يطوف به في المدينة عاريا تماما ،إلا من سروال قصير يستر عورته ،يحضر عملية التطويف هذه قائد الشرطة ولا ينقطع صوت الجلاد أثناءها عن إعلان نوع الجريمة المقترفة، ثم يلبس المجرم ثيابه ويعود إلى السجن»[2],

فنوع هذا التعذيب غريب بعض الشيء لا سيما في تطويفه عاريا تماما وهذا قد يكون درسا لكل من أراد ذلك أو عزم عليه.

ويقول في تصويره لأهل منطقة أخرى إذا مات أحدهم « تجتمع النساء إذا مات لهن زوج أو أب أو أم أو أخ مرتديات لباسا خشنا، ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور [...]وفي آخر كل بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن، حتى يسيل منها الدم بغزارة، وينتفن شعورهن نائحات مولولات يدوم ذلك سبعة أيام»

تعجب الرحالة هنا من فضاعة وشناعة هذا التصرف الذي يبعث عن الجهل .

نجد كذلك بعض الصور الغرائبية التي شاهدها في العرافين فيقول « ويضم الصنف الثاني العرافين الذين يجعلون الماء في قدر لماع ،ويرمون فيه قطرة زيت فيصير شفافا ، ويزعم العرافون أنهم يرون فيه كما يرون في المرآة جماعة من الشياطين القادمين بعضهم خلف بعض ،كأنهم كتائب جيش تعسكر وتضرب الخيام ، ويسلك بعض

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ص232.
[2] نفسه،ص ص249 250.

هؤلاء الشياطين طريق البحر، وبعضهم طريق البر، وعندما يرى العراف أنهم قد استراحوا يطلب منهم ما يود معرفته فيجيبونه بإشارات باليد او العين»[1].

يتعجب الوزان من هذه الظاهرة الطاغية الغير منطقية في تلك الفئة لتعاملهم مع الشياطين وهذا ما اعتبره حماقة.

ويكمل الوزان رحلته في المغرب العربي واصلا إلى تونس، ذاكرا في ذلك أهم الصور التي أثارته حيث يقول:« وعلى بعد نحو ميل ونصف من المدينة تنبع عين ماء ساخن جدا، يكون جدولا يخترق المدينة من وسطها في قنوات عريضة [....] إذ من خاصياته أنه يبرئ من داء الجدام ،ويدمل الجروح، ولذلك يقيم عدد كبير من المجدومين في أكواخ حول البحيرة ، و لهذا الماء تأثير عجب على المرضى ، إلا أنه يترك مذاق الكبريت عندما يشرب»[2].

فهذا الماء الموجود في البحيرة غريبا كونه قادرا على إشفاء المرضى من السقم ، وهذا ما استغرب منه الوزان في كلامه فمن النادر أن تجد هذا النوع من المياه.

نجد كذلك صورة غريبة في صحراء برقة بقول فيها الوزان:

« يجردون الحجاج المساكين وأبناء السبيل من ثيابهم ،بل ويسقونهم لبنا ساخنا ،ثم يحركونهم ويقذفون بهم في الهواء إلى أن يأخذ هؤلاء الأشقياء في التقيؤ ، حتى تكاد تخرج أحشائهم فيبحث الأعراب عما قد يكون في القيء من نقود، لأن هؤلاء البهائم المتوحشة يتهمون المسافرين ببلع نقودهم عندما يقتربون من هذه الصحراء ،حتى لا يعثر عليها معهم»[3]

ففي هذا السلوك تعبير عن سذاجة هؤلاء الأعراب ومدى حبهم للمال لدرجة لا توصف .

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1 ، ص263.
[2] نفسه، ص92.
[3] نفسه ، ج2، ص112.

لنصل إلى نوميديا و التي قام فيها ايضا بمشاهدة وملاحظة عددا من الصور الغريبة التي استحقت الذكر نذكر منها :

«وتظهر قرب المدينة آثار كأنها، مقابر وعندما ينزل المطر يعثر فيها الصيادون على قطع غليظة من الذهب والفضة مع صور ومفاتيح »

و هذه الصورة توضح حقا نوعا من الغرابة، التي لا يمكن أن يصدقها العقل ولا القلب حتي بلو شوهدت بالعين المجردة لأنها تشبه القصص الخيالية نوعا ما .

يصل أخيرا صاحبنا الوزان إلى مدينة مصر ،حيث يكتب فيها جل الصور التي أدهش فيها وتركت فيه تعجبا واستفهاما يقول في هذا: « وعلى بعد نحو ستة أميال غرب المدينة ، توجد بناءات عريقة في القدم من بينهما عمود في غابة الضخامة والارتفاع ، يسمى بالعربية عماد الصواري، وقد سطر فعلا في الكتب المتعلقة بعجائب الدنيا ، أن فيلسوفا أيام لإسكندر يدعى بطليموس شيده لتأمين المدينة من العدو، وجعل في أعلاه مرآة كبيرة من الفولاذ، بحيث أن كل سفينة تمر بالقرب منها تحترق حالا إذا كشفت المرآة»[1].

يمكننا القول بأن هذه الصورة دليل كبير علي عظمة التفكير والذكاء الخارق، الذي يملكه من قام بهذا الاكتشاف، وهو أمر عجيب حقا، لا يمكن نكرانه.

ويقول أيضا في وصف قصاص إحدى المدن: « ومن قتل أحدا غدرا ،تعرض إلى القصاص الآتي: يمسكه أحد أعوان الجلاد من رجليه وآخر من رأسه ، ويتناول الجلاد سيفا ذا قبضتين ، يقطع به الجسد شطرين ،ويوضع الشطر الأعلى على كومة جير حام، وقد يستمر حيا هكذا عشرين دقيقة وهو يتكلم ، وهذا شيء رهيب يفجع الناظر والسامع .أما القتلة والثوار فتسلخ جلودهم وهم أحياء ،ثم تحشى بالنخالة وتخاط ، بحيث تشبه الناس في

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1 ،ص196.

المظهر ويضعونها على بعير يطوفون به في المدينة كلها، وهم يعلنون عن الجريمة التي ارتكبها الممثل به ، وهذا أقصى عقاب قضائي رأيته في العالم»[1].

نرى هنا الوزان متعجبا لهول منظر التعذيب وفضاعته، لأنه كذلك حقا ،والذي يعتبر من أشنع العقوبات التي عرفتها البشرية ، على الإطلاق .

ومن خلال هذا ، يمكننا القول بأنا أهم ما يميز الرحلة ، وما يلفت انتباه الرحالة ، هو العجيب والغريب الذي يصادفه لأول مرة، الذي يبعث فيه الحيرة والدهشة ،فيشرع في نقله وتدوينه مباشرة، بعدما يقوم بالتعبير عنه، سواء كان هذا التعبير انبهارا من جمال مرئي ،أو استهزاءا علي موضوع معين ،وهذا ما لاحظناه مع الوزان في رحلته هذه ، ولا يمكن خلو رحلة من الرحلات من العجب ، لأنه يضيف عليها طابع الشوق والإثارة .وفي هذا نجد الدكتور شعيب حليفي يقول :« ولا تخلو الرحلات العربية في الغالب من التعبير بمفردات التعجبّ ،إلي اللقاء مع العجائبي والتصادم معه ، ويمكن الجزم بخصوص الرحلة أنها تجميع لعجائب وغرائب الآخر ، إنسانا وعمرانا وتاريخا ، لاعتبارات يلتقطها الراوي الرحالة وينسجها ، فهي شيء غير مألوف ، يوضع دائما في المقارنة مع المألوف ، والرحلة هي خروج من دائرة ما هو مألوف إلى انفتاح على اللام ألوف وتجلياته» .[2]

فهنا يؤكد شعيب على استلزام وجود الصور العجيبة والغريبة في أي رحلة، لكي يصح القول عنها رحلة.

وهذا ما يقصده "خالد التوزاني" في قوله: «ليدرك من أول وهلة أن العجيب ركن أصيل في الرحلة، يشكل محور اهتمام الرحالة والمتلقي معا»[3].

من خلال هذا يمكننا القول بأن الرحالة والمتلقي، يشتركان في شيء واحد، ألا وهو استخراج العجيب والجديد، اللذان يمثلان الجوهر والأصل.

---

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي ،وصف إفريقيا، ج2، ص221.

[2] شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ،ص430.

[3] نفسه،ص430.

ونجد أيضا شعيب حليفي في كتاب ل آخر له "شعرية الرواية الفانطاستيكية" يقول: «في تأصيل العجيب في الرحلة وإثبات التصاقه بها منذ التأسيس، لأن ما كان منطلقه بحثا عن المختلف والغريب وخروجا من المألوف، كانت حصيلة من جنس هذا المنطلق، أي رصد العجيب والبحث عن الغريب»[1].

3- الصورة الأنثروبولوجية في رحلة لحسن الوزان:

ومن محطة العجائبية ينتقل الوزان إلى محطة الأنثروبولوجيا، واصفا اهالي شمال إفريقيا فيما يخص التعليم والتربية ،الحضارة والتنمية الاجتماعية، أشكال المساكن، أساليب الزينة، وكذلك أنواع الألبسة والآداب والفنون إذ يعد علم الأنثروبولوجيا، من أهم العلوم التي قد تناسب هذه الدراسة التي قمنا بها، حيث نجد الدكتور محمد عباس إبراهيم يقول:« ويعد علم الإنسان(الأنثروبولوجيا) العلم الذي استطاع الإجابة عن تساؤلات الإنسان على الأرض، وذلك لأن الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان وثقافته، وهو العلم الذي يهتم في المحل الأول بدراسة الإنسان المتخصص، هو نفسه عضو في الجماعة الإنسانية، التي يقوم بدراستها[...] وقد يتحمل الأنثروبولوجي أعباء دراسة الإنسان من وجهة نظر موضوعية، حيادية وعلمية، ويهدف إلى أن يصل إلى فهم حقيقي وخير منحاز واضعًا في الاعتبار الاختلافات الإنسانية»[2].

فهذا العلم إذا، ينحاز في دراسته إلى دراسة الإنسان بشكل خاص، من جميع جوانبه، وهذا مايتجلى في تعليمه وتربيته وثقافته وفنونه وحضارته، وأنواع الآداب التي تخصه، واعتمادا على هذا العلم وما يشير إليه، دهبنا إلى استخراج بعض الصور التي تمثله في رحلة وصف إفريقيا،وأول ما يصادفنا في مدينة مراكش وتحديدا في إقليم حاحا وصف لباس هؤلاء السكان يقول في هذا « يلبس معظم الناس ثوبا من الصوف يدعى كساء ، يشبه غطاءات الفرش، التي تستعمل في إيطاليا يلفون به أجسامهم لفا جيدا ،ويأتزرون بنوع من فوط الصوف

[1] شعيب حليفي، شعرية الرواية الفانطاستيكية، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2009، ص66.
[2] محمد عباس ابراهيم، الأنثروبولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية، تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس،دار المعرفة الجامعية، ط؟ ،ص15.

،ويضعون على رؤوسهم قطعة من نسيج الصوف كذلك طولها عشرة أشبار وعرضها شبران، مصبوغة بلحاء جذور شجرة الجوز، يقتلونها ويديرونها حول رؤوسهم بحيث يبقى أعلى الرأس دائما مكشوفا»

ينتقل بعد ذلك الوزان إلا التحدث عن التعليم في هذه المدينة « والتعليم غير معروف في هذه البلاد ، فلا تجد فيها من يحسن القراءة باستثناء بعض الفقهاء ،الذين لا يعرفون شيئا آخر غير الفقه ولا يوجد أي طبيب من أي صنف ولا أي جراح أو عقاقيري ، وتكاد جميع الأدوية والعلاجات تكون بالكي بالنار كما تعالج الحيوانات»[1].

ومن هذا نستنتج أن التعليم في هذا البلاد غير موجود، إذ يعتمدون في علاج الأمراض على وسائل تقليدية قديمة، تطابق بما يعالجون الحيوانات بها.

ونجده يتحدث في طبيعة سكانها حيث يقول:« ولا يوجد في أي مكان من هذه المدينة، فندق ولا حمام، ولا دكان حلاق، فإذا جاء أحد التجار الغرباء نزل عند صديق أو شخص يعرفه، وإن لم يعرف أحدا اقترع أعيان المدينة لإضافته.وهكذا يجد جميع الغرباء منازل لهم .وهؤلاء القوم يسرهم أن يكرموا كل غريب»

ومن هنا يمكننا القول بأن أهل هذه المدينة رغم انعدام وجود أماكن يستطيع التجار الغرباء ،أن يمكثوا فيها إلا أن اهلها يمتازون بالكرم والجود فيحسنون ضيافة الغريب بدون مقابل.

وعند الوصول لمدينة حاحا يشرع الوزان في وصف نساء هذه المدينة مقارنا إياهم برجالاها إذ يقول: « نساء هؤلاء السكان بارعات الجمال ، بيض متوسطات البدانة ، في غاية الظرف واللطف . لكن الرجال ذو عنق وغيرة ، يقتلون كل من أفرط في الاقتراب من نسائهم».[2]

[1] خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ط1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت 2017، ص13.
[2] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص101.

وليس لهذه المدينة قانون أو قاضي يحكمهم ، بل يحكمون أنفسهم كما يشاؤون، وهذا ما يتحدث فيه الوزان قائلا: « وليس هناك قاض ولا فقيه يفصل بين الناس في قضاياهم المدنية ، وإنما يحكمون أنفسهم كما يحبون، إلا في المسائل الشرعية التي ينظر فيها الفقهاء وأضرابهم».[1]

ويواصل الرحالة مسيرته واصفا إقليم حاحا قائلا :« يسيرون حفاة إلا قليلا منهم، ينتعلون بغالا من جلد الجمال أو البقر ولا يفترون عن محاربة سكان البادية فيتقاتلون كالكلاب ، ليس لهم قاض ولا فقيه ولا شخص يحكمونه ، ليفصل بينهم في خصوماتهم إذ ليس لهم من الإيمان والشريعة إلا ما يجري على ألسنتهم».[2]

وعلى ما يبدو أن أهل هذه القرية يمتازون بالكسل والفقر، لدرجة أنهم يمشون حفاة ، وليس لديهم من يعلوهم شأنا وعلما ، فكل الناس سواسية ويكمل الرحالة رحلته إلى حين وصوله إلى مدينة تسكدلت يصف فيها طبيعة سكانها .« وسكان تسكدلت أغنياء،لا يملكون عددا مهما من الخيل فلا يؤدون أية ضريبة للأعراب. بل يحاربونهم باستمرار ويقتلون الكثير منهم»[3].

وهذا ما نستنتجه بأن أهلها أغنياء أقوياء، يدافعون على حقوقهم باستمرار، ويصف الوزان نساء ورجال هذه المدينة فيقول: « نساؤهم جميلات، زاهيات ورجالهم أشداء، يكسو الشعر صدورهم خلقة، كرماء جدا، لكنهم مفرطون في الغيرة».[4]

وفي وصفه لرجال إيغيلينغيغيل يقول: « والسكان في غاية الشجاعة عندما يحملون السلاح ،وهم في خصام دام مع الأعراب ،وينتصرون عليهم دائما بسبب موقع مدينتهم الحصين ، الذي لا يكاد يصل إليه أحد

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ، ص101.
[2] نفسه، ص102.
[3] نفسه، ص104.
[4] نفسه، ص106.

وهم غلى ذلك في غاية الكرم، يصنعون في مدينتهم كمية عظيمة من أوان تباع في مختلف الجهات ، ولا تصنع في غير هذه المدينة على ما أعتقد»[1].

ومنه فإن رجال هذه المنطقة أقوياء شجعان ، بالإضافة إلى كرمهم وجودهم الكبير، فنلاحظ هنا وجود اختلافات بين طبيعة سكان قرية و أخرى في طبيعة اللباس والسلوكات ، بالرغم من وجودهم في نفس الإقليم وهذا شيء طبيعي .

وينتقل بنا لحسن الوزان إلى مملكة فاس إذ يشرع في وصف سكانها وذكر أهم ما يميزهم عن غيرهم ، سواءً في طبيعتهم ومأكلهم وملبسهم ،فيبدأ أولا بمدينة تامسنا ،ويفصل في أهم الأقاليم التي احتوتاها فيقول في أنفا:« وكانت هذه المدينة في غاية الحضارة والازدهار لأن أرضها خصبة تصلح لجميع أنواع الحبوب وتمثل في الواقع أجمل منظر في إفريقيا كلها، يحيط بها من جميع الجهات ما عدا الشمال على شاطئ البحر سهل فسيح يمتد على مسافة نحو ثمانين ميلا وكم كان في داخل أنفا من مساجد ودكاكين في غاية الحسن، وقصور شامخة يمكن رؤيتها والتأكد منها الآن من خلال الآثار الباقية ! و كم كان فيها ايضا من بساتين وكروم !»[2]

ومن هنا فإن حضارة هذا الإقليم وازدهاره راجع إلى قوة اقتصاده وموقعه الإستراتيجي الممتاز ،الذي كان سببا في رواجه وثرائه وهذا ما ذهل به الرحالة.

أما في لباسهم فيقول:« وكان سكان أنفا يتأنقون جدا في لباسهم، بسبب العلاقات الوثيقة التي تربطهم بالتجار البرتغاليين والإنجليز».[3]

فمن الطبيعي أن يكون لباسهم مختلفا مثيرا، هذا بسبب احتكاكهم بالأجانب فيعكسون صورتهم، وهذا كان قبل خرابها من طرف البرتغال وتدميرها.

---

[1] لحسن بم محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص108.

[2] نفسه، ص196-197.

[3] نفسه، ص197.

وبالتحدث عن مدينة النخيلة، نلاحظ هي الأخرى أن اقتصادها كان عامرا تميل لطبقة الأغنياء« وكان سكان النخيلة في غاية الغنى لاتساع أرضهم التي تشتمل من كل جانب على خمسين ميلا من السهول ،تذكر كتب التاريخ انه في عهد أولئك المبتدعين بلغت وفرة القمح درجة جعلت الناس، يستبدلون أحيانا نعلين بحمل جمل كبير من القمح ،وقد خربت هذه المدينة كغيرها من مدن تامسنا عند مجيئ يوسف (بن تاشفين) ومع ذلك ما تزال للعيان آثار منها»[1].

فمصير هذه المدينة كغيرها من باقي مدن تامسنة في الدمار والخراب وهذا راجع لقوة اقتصادها الذي يحفز بدوره على غزوها ونهبها.

ينتقل صاحبنا الرحالة للتحدث عن إقليم فاس ،وأهم المدن التي جاءت فيه ،وذكر أهم ما جاء فيها واستحق ذكره فاستفتح كلامه بمدينة سلا يقول فيها: « استنتج من ذلك ، أن سلا تملك من الترف والبدخ ما يضفي عليها طابع مدينة عريقة في الحضارة ، بالإضافة إلى أن ميناءها الجيد مهبط التجار المسيحين من مختلف الجنسيات من جنوبيين وبندقيين وإنجليزيين وفلامنديين ، لأنه كان يستعمل كميناء لكل مملكة فاس، وقد تعرضت هذه المدينة لهجوم أسطول ملك قشتالة عام 670 للهجرة».[2]

ومن هذا الحديث نرى ان لحسن الوزان بدوره قد لاحظ بأن معظم مدن فاس قد تعرضوا لنفس السيرة التاريخية .،بدءا بالتحدث عن غناها وبدخها وترفها ، منهيا حديثة عن دمارها . وهذا راجع لتشابه اقتصادهم والعلاقات الخارجية .

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص199.

[2] نفسه، ص208.

وبالحديث عن طبيعة سكان إحدى مدن فاس المعروفة باسم مكناس يقول فيها الرحالة:« وأهل مكناس شجعان كجنود، مهذبون لكن ذكائهم غير صاف وكلهم تجار أو نبلاء أو صناع[...] وهم يكرهون كثيرا أهل فاس دون ان يعرف سبب واضح لذلك»[1].

كذلك يقول في وصف نساء النبلاء لمدينة مكناس: « لا تخرج نساء النبلاء من بيوتهن إلا ليلا ، فيسترن وجوههن ولا يرغبن في أن يراهن أحد محجبات أو سافرات ، لأن أزواجهن شديدو الغيرة لدرجة خطيرة حين يتعلق الأمر بنسائهم ، ولا تعجبني هذه المدينة لأن أرضها تكون مبللة وموحلة في فصل الشتاء»[2]

وهذا لا ينطلي إلا على نساء النبلاء ،أما العامة من النساء فهم أخف تقلدا من الذين سبقبوا.

وبالانتقال للحديث عن المجال التعليمي ،نجد فاس قد كثرت فيها المدارس ذات البناء الدقيق والزخرفة الجميلة نوالشكل الواسع هذا نظرا لثقافة سكانها وانتشار الفنون المختلفة والآداب « وفي فاس إحدى عشرة مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرف بالزليج والخشب المنقوش بعضها مبلط بالرخام ،وبعضها بالخزف المايروقي، وتحتوي كل مدرسة على عدة حجر [...]وكلها من تأسيس مختلف ملوك بني مرين»[3].

ولا يهمل الرحالة التحدث عن طريقة لباسهم فيقول: « وأهل فاس يرتدون في الشتاء ملابس من قماش الصوف المستورد من الخارج ، تتكون من سترة ضيقة جدا لها نصف أكمام توضع فوق القميص ، وفوقها عباءة واسعة مخيطة من أمام، ويغطون كل ذلك ببرنس».[4]

وعلى العموم فإن سكان أهل فاس، ينتمون للطبقة الراقية ،الأغنياء منهم أكثر من الفقراء فهي محل التقدم والرقي والحضارة .

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا ، ص216.
[2] نفسه، ص216.
[3] نفسه، ص225.
[4] نفسه، ص251.

ويدرج الرحالة كلامه إلى مملكة تلمسان محاولا أخذ ابرز الصفات التي شاهدها ولاحظها في سكان هذه المنطقة، مبتدءً بإحدى مدنها التي تدعى وجدة قائلا: « وسكانها فقراء لأنهم يؤدون الخراج إلى ملك تلمسان وإلى الأعراب المجاورين لهم ، بمفازة أنكاد ، ويرتدون لباسا قصيرا خشنا سبيها بلباس الفلاحين، ويربون عددا من الحمير الجميلة الكبيرة القامة التي تنتج لهم بغالا[...] ويتكلمون باللغة الإفريقية القديمة، وقليلا منهم يحسن العربية الدارجة التي يتحدث بها أهل المدينة»[1]

ومن هنا فإن أهل هذه المنطقة معظمهم فقراء جاهلون، يعيشون حياة بسيطة يعتمدون في عيشهم، على تربية الحيوانات.

أما في ما يخص مجال التعليم يلاحظ لحسن بأن تلمسان الكبيرة تضم عددا وافرا من المعلمين والمتمدرسين « حيث يوجد بها قضاة ومحامون وعدد كبير من العدول يتدخلون في الدعاوي و،كثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواءً في الشريعة أو العلوم الطبيعية».[2]

فالعلم في مدينة تلمسان خصيصا كان متطورا في جميع مجالاته الدينية و العلمية، نظرا لوفرة المرافق المساعدة على ذلك وثقافة سكان أهلها.

وبتباين طبيعة الأماكن التي يقطن فيها أهل تلمسان، تتباين وتختلف طباع أناسها وسكانها ، فيما أننا وجدنا الفقير منهم نجد الغني، وكما نجد الجبان نجد الشجاع .وفي هذا يقول الوزان في سكان إحدى المدن التي زارها: « يسكنها أناس كثيرون خشنون ، ويشتغل معظمهم بحياكة الاقمشة .إنهم أخفاء أقوياء كالأسود اعتاد كل واحد أن يرسم بالوشم صليبا أسود على خذيه ويديه في كفه تحت الأصابع».[3]

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ص13

[2] نفسه، ص20، ص21.

[3] نفسه، ص32، ص33.

ويأخد بنا الوزان في رحلته إلى مملكة أخرى المسماة بجاية ،يشرع في وصف سكانها ومدى تطورها وحضارتها وحالتهم الاجتماعية « وفيها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم ، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق ،ومارستانات وكلها ضروح مشيدة حسنة البناء ، وأسواقها كذلك جميلة منسقة أحسن تنسيق، إلا أن المدينة كلها عقبات بحيث ان الماشي لا يستطيع أن يخطوا خطوات دون أن يصعد أو ينزل».[1]

فإذا ما نظرنا إلى الجانب الثقافي والعلمي في هذه المدينة ، فهو لا بأس به ،بالإضافة إلى توفر جل احتياجات السكان والمرافق الضرورية التي قد يحتاجونها في حياتهم العادية، والتي تمتاز بالترتيب والتنظيم . وبالحديث عن الفنون نجد الوزان يتحدث لنا في فقرة يصف فيها مدى براعة أهل بجاية في ذلك « توجد قرب قلعة كبيرة متينة الجدران ، مزخرفة بالفسيفساء والجص المجزع والخشب المنقوش المزدان بألوان اللازورد العجيبة».[2]

وهذا دليل على تنوع الفنون في هذه المدينة وتقدمها هذا من فسيفساء وزخرف نقش.

وفي زيارته لإحدى مدن بجاية يصف الوزان الحالة الاجتماعية لتلك المنطقة يقول فيها « يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم ، وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب وقد اندهشت للفقر السائد بمسيلة عند مروري بها، فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة إلا بمشقة».[3]

ومن هنا فإن سكان مدينة بجاية الذين يقطنون بعيدا عن وسطها ، جلهم فقراء عكس بجاية وسط، وهذا قد يعود لعزلتهم وبعدهم، إضافة إلى الضرائب التي يأخذونها منهم وسلب مداخيلهم.

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ص50

[2] نفسه، ص50.

[3] نفسه، ص52.

وبالحديث عن طباع سكانها في مدينة أخرى، يقول الوزان في إحدى زياراته لمدينة عنابة « إلا أن أهل عنابة متكبرون، شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم، بل يتجرؤون على التحديد بتسليم المدينة إلى النصارى إن لم يرسل إليهم حكاما مستقيمين منصفين»[1].

وهذا ما نجده يختلف من مدينة إلى أخرى كل حسب طباعه ومجتمعه.

وفي كلامه على مدينة تونس نجده يقول:« وأهل تونس على جانب كبير من الطيبوبة واللياقة، يرتدي الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباسا ممتازا، ويضعون على رؤوسهم عمامة (قلنسوة) مكسوة بقماش طويل [...] وعدد الأغنياء قليل بسبب قلة القمح».[2]

وبهذا فإننا نلاحظ اختلاف طبيعة سكان بجاية وتونس، من حيث الحالة الاجتماعية الخاصة بهم.

وبالوصول إلى محطة نوميديا، يشرع الرحالة في وصف جل ما رآه في هذه المدينة سواءً من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو العملية « والفقر هنا من نصيب الجميع، الماشية قليلة تتكون من الدمان فقط، دون بقر ولا غنم ويحرثون الأرض بزوج من فرس وجمل كما هي العادة في نوميديا بكاملها».[3]

أي بمعنى أن الفقر يغلب على هذه المدينة وهذا قد يكون لقلة الماشية.

الذي بدوره يقلل ويعدم التجارة مع الدول المجاورة.

وفي وصف نساء هذه المدينة يقول: « النساء جميلات سمينات لطيفات أكثرهن عاهرات، ويملك أهل هذه البلاد عبيدا سودا من الجنسين يلدون الأولاد، ويحتفظون بهؤلاء الأولاد وآباؤهم لخدمتهم، لذلك تجد منهم الأسود والهجين، أما الأبيض فنادر جدًا».[4]

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص61.
[2] نفسه، ص75.
[3] نفسه، ص116.
[4] نفسه، ص120.

وإذا مررنا بإحدى مدن نوميديا، يضيف الوزان متحدثا عن حضارتها وتعليمها: « كانت سجلماسة مدينة متحضرة جداً دورها جميلة، وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان، وكانت فيها مساجد جميلة، ومدارس ذات سقايات عديدة يجلب ماؤها من النهر».[1]

فتختلف الحضارة والتعليم من إقليم إلى آخر، وهذا يعود لاختلاف المعاملات التجارية، وهذا لعدم احتكاكها بالمناطق المجاورة لها، فنجد مثل هذه الاقاليم فقيرة لا تملك ضروريات الحياة مثل المدارس، في حين بعض الأقاليم تنشط تجارتها لتعاملها مع المناطق المجاورة لها. مما ساهم في تطورها وازدهارها.

أخيرا يصل بنا الوزان إلى مدينة مصر العظمى، يتكلم فيها عما لاحظه وشاهده في حضارتها وثقافتها ومجتمعاتها فيقول في إحدى مدن مصر: « وهي كثيرة السكان متحضرة ومزدهرة جدا، وللتجار والصناع فيها دكاكين جميلة [....] وللنساء الحرية المطلقة بحيث إنهن يقضين النهار حيث طاب لهن ويعدن مساءً إلى منازلهن دون أن يسألن أزواجهن عن أي شيء».[2]

فالوزان هنا ينقل لنا صورة عن سلوكات نساء هذه المدينة، التي تتنافى مع الدين الإسلامي، ولا يمكن للعقل أن يتقبلها، ويرجع هذا التصرف للتحرر والحضارة التي تحياها هذه المدينة.

ويقول أيضا: « وفي المدينة عدد كثير منن الصناع والتجار يقيمون بالأخص في زقاق يمتد من باب النصر غلى باب زويلة، وهناك يوجد معظم نبلاء القاهرة، وعدد من المدارس التي تثير الإعجاب بأبعادها، وحسن بناءها وزخرفتها، وكذلك عدد من المساجد المنسجمة البديعة».[3]

الذي ساهم في تحقيق التطور ونمو الحضارة الحضارة بشكل بائن، ثم يضيف قائلا عن سكانها: « سكان القاهرة أناس على جانب كبير من الظرف والمرح، حديثهم ممتع لكن عملهم قليل كما هي العادة في جميع

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيان ج2، ص127.
[2] نفسه، ص 200 .
[3] نفسه، ص 204.

كبريات مدن العالم ، يزاولون التجارة والصناعة [...] ويقبل الكثير منهم على دراسة القانون ، والقليل منهم يدرس الآداب».[1]

ومن المعروف أن نساء مصر تنعدم عندهن صفة الحشمة والحياء ،وخاصة من حيث اللباس و التصرفات ،وعلى هذا فإن سكانها مثقفون واعيون متفتحون، مقارنة مع نساء المدن الأخرى التي ذكرها مسبقا فيتحدث الرحالة عن هذه النقطة قائلا: « ولباس السيدات فاخر يخرجن متبرجات بالحلين يحملن أكاليل على جباههن وعقودا في أعناقهن ،ويضعن على رؤوسهن غطاءا ثمينا ضيقا عاليا بقدر شبر على شكل أنبوب [....] وهؤلاء النساء متصنعات يعرن للقيل والقال أهمية كبرى، إلى حد أن أية واحدة منهن لا ترض أن تقوم بالغزل أو الخياطة أو الطهي، فيضطر الزوج إلى شراء الطعام جاهزا من الطباخين خارج البيت».[2]

من خلال هذا نستنتج بأنّ علم الأنثروبولوجيا ،له الفضل الكبير في تسهيل وتحفيز الباحثين على استخدام ملاحظاتهم لجل مشاهدوه في أبحاثهم ،يقول في هذا أحد الكتاب :« ولقد كان لعلماء الأنثروبولوجيا في العصر الحديث ،الفضل في لفت أنظار الباحثين الاجتماعيين إلى أهمية الملاحظة، كوسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، وكان لخصوبة المادة العلمية التي جمعوها عن الشعوب البدائية،أثر كبير في توجيه أذهان الباحثين إلى استخدام نفس الأسلوب في البحث،خاصة في دراسة الجماعات الصغيرة ».[3]

وفي هذا يمكن القول بأنّ الأنثروبولوجيا قد اقتصرت كثيراً في دراساتها على المجتمعات البدائية القديمة، ذلك لطبيعة معاشهم الغريب، وسلوكياتهم التي تستدعي بدورها هذه الدراسة المخصصة .

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،ص216.

[2] نفسه، ص216.

[3] عبد الباسط محمد حسين، أصول البحث الاجتماعي، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، 1966، ص 415.

4- الصورة الإثنوغرافية في رحلة لحسن الوزان:

تختلف عادات وطريقة معاشهم باختلاف البيئة والمكان الذين يقطنون به، وأغلبهم يعيشون حياة مزرية مليئة بالفقر والجوع ،الذي يملأ حياتهم وأكثر هؤلاء السكان يعمرون بنوميديا وليبيا.

في حين ذلك نجد « العرب القاطنون بإفريقيا بين الأطلس والبحر المتوسط فإنهم أكثر هناء وغنى من العرب المذكورين بآنفا لا سيما فيما يخص اللباس وأسراج الخيول ،وجمال الخيام وعظمتها [...] وهم أكثر وحشية وخيانة من عرب الصحراء»[1].

« لكن العرب المقيمين بالصحاري المجاورة لمملكتي تلمسان وتونس يعيشون جميعا مثل سادتهم [...] ويحب هؤلاء العرب اللباس الجميل ،واكتساب الخيل الفارهة المسرجة، والخيام الكبيرة الرائعة ،ومن عاداتهم أن يذهبوا صيفا إلى ضواحي تونس ليتزودوا منها ».[2]

فهؤلاء الأهالي يهتمون كثيرا باللباس والخيول الفخمة والرائعة.

كما أن لنساء العرب عادات وتقاليد كثيرة تميزهم عن باقي الشعوب الأخرى، وهي عادات لا يمكن أن نتغافل عنها وسنذكر البعض منها « تضع هؤلاء النساء أمام وجوههن ثوبا صغيرا مثقوبا أمام العيون [....] فإذا انفردن بأزواجهن وذويهن رفعن اللثام»[3].

« ومن عادة هؤلاء النساء أنهن قبل الزفاف إلى أزواجهن يخضبن بالحناء وجوههن وصدورهن وأذرعهن وأيديهن إلى رؤوس الأصابع ،لأنّ ذلك مستحسن عندهن»[4] .

فيعتبر الزواج شيء مقدس في حياتهم فلا يستطيعون أن يستغنوا عن أي عادة من عادات السابقين ويعتبروه فال خير عليهم ، والذي يتخطى ذلك سيلقى العكس لا محال ، وهذا حسب ظنهم.

---

[1] لحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ص62.

[2] نفسه، ص63.

[3] نفسه، ص64.

[4] نفسه، ص64.

ولهؤلاء النساء عادات كثيرة لا يمكن أن نذكرها كلها ،من أجل الإختصار وحسب ما يتطلّبه عملنا وسنستخرج أهم العادات التي نقلها لنا صاحب الرحلة في مملكة مراكش والتي سنذكر القليل منها بالتوالي وبحسب المكان الذي ذهب له الرحالة.

سكان مملكة مراكش يختلفون في العادات بحسب اختلاف الأماكن والأشخاص فتارة نجده يذكرهم بالخير ومرة أخرى يذمهم، وهذه الصفة تتواجد في كل دول العالم وسنذكر أولا "تسكدلت" « ولسكان تسكدلت عادات حسنة فيما يتعلق بالكرم والمجاملة :فحراس الأبواب مكلفون باستفسار كل غريب جاء إلى الميدنة عما إذا كان له من صديق فيها ،فإن أجاب بالنفي كان على هؤلاء الحراس أن يضيفوه بحيث أنّ كل غريب يلقى هناك استقبالاً حسنًا ولطيفًا دون أن يؤدي شيئا»[1].

وهذا الجود والكرم يتحدث عليه كل من زار أهلها وليس "لحسن" وحده وتعتبر صفة أوصى بها الله ورسوله حيث أمرنا بإكرام الضيف والإحسان إليه، مما تتركه هذه الأخيرة من خير وبركة لأهل المنزل وتوليد المحبة والألفة بين المستقبل والضيف.

وعلى نافدة هذا القول نصادف "الوزان" نفسه يتحدث لنا عن تجربة مر بها في هذه المملكة حينما كان يمر في جبالها الواحد تلو الآخر. ما حدث له في "جبل سميد" حينما زار "ناسك " كان يقصده هؤلاء الجبليون حيث يسرد لنا قصة جرت له وهي كالتالي « ولما أفقت في الصباح الباكر أخذت أتهيأ للإنصراف كما لو كنت أجهل عادة بلاد [....] قال لي أحدهم: « لعلك تجهل يا سيدي عادتنا وهي أنه لا ينفصل غريب عنّا قبل أن يدرس قضايانا ويقضي فيها»

ويعتبر راوي الحديث هذه العادة مزعجة جدا بالنسبة له، لأنهم يشترطون على الغريب أن يحكم بينهم دون سابق إنذار أو إعطائه موافقة بنعم أو لا.

[1] لحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج1، ص104.

وبعد انتهائنا من مملكة مراكش ننتقل إل مملكة فاس وكيف هي عادات هؤلاء السكان ولماذا صورها لنا صاحب الرحلة بالضبط هل هي واقعية أم غريبة.

فاس هي مملكة عظيمة تحتوي على كثير من المدن والجبال، التي لا تعد ولا تحصى وفي وصفه للحامات والبيمارستانات يذكر لنا بعض العادات من بينها « ومن عادة سكان المدينة أيضا رجالاً ونساءً أن يأكلوا في الحمامات ويتسلوا فيها غالبًا بمختلف ضروب التسلية ويغنوا بأعلى أصواتهم ،ويدخل إليها معظم الشبان عراة دون أن يستحي بعضهم من بعض»[1].

وهذه صفة يشتهرون بها أهل فاس وهذه لوجود العديد من الحمامات عندهم والمكانة الكبيرة التي تمثلها هذه الأخيرة في مدينة فاس وتصنف من بين المعالم المعروفة عندهم.

أما إذا تحدثنا عن عاداتهم في الطعام فعند مرورنا بالقسم الثاني من فاس نجد: « من عادة السكان في التغذية أن يتناولوا اللحم الطري مرتين في الأسبوع، لكن الأعيان يأكلونه مرتين في اليوم حسب شهيتهم[...] يأخذون في الشتاء بدل الحساء رغيفًا من حنطة محشواً [....] إنهم يأكلون على الأرض فوق موائد منخفضة».[2] فغذاء هؤلاء يختلف من الصيف إلى الشتاء ، بحسب الفصول كما أنه يختلف بحسب الطبقات والأعيان كل بحسب مستواه فالفقير لا يأكل كما يأكل أصحاب الطبقات الراقية، لكن الأكل على الأرض ،وعدم استعمال الملعقة والشوكة عادة مشتركة بينهم جميعا .

ومرورا بهذا نصادف عادات هؤلاء الفاسيين في الزواج ،والتي تختلف هي الأخرى بين الأفراد، إلا أنه هناك عادات يستحيل عدم ذكرها،وفي هذا يقول الوزان: « تراعي في الأعراس العادات التالية: إذا أراد رجل أن يتزوج

[1] لحسن الوزان الفاسي: وصف إفريقيان الجزء 1، ص230.

[2] نفسه الجزء 1، ص252-253.

فبمجرد ما يعده أب بتزويجه بنته ،يستدعي أبوه إن كان على قيد الحياة أصحابه للإجتماع في المسجد ويحضر معه عدلان يكتبان العقد ويحددان شروط الصداق بحضور الخاطب والمخطوبة»[1].

وتعتبر هذه العادة مشتركة بين جميع المجتمعات العربية خاصة والإفريقية عامة، فالأب دائما هو الذي يطلب الزوجة لابنه من والدها والتي تكون بالموافقة أو الرفض، وهذا بالإضافة إلى عدّة عادات ذكرها لنا الرحالة فيما يخص الزواج ،في مدينة فاس والتي لايمكن أن نذكرها كلها حسب طبيعة العمل.

لننقل مع عادات أخرى متبعة في الأعياد والتقاليد، وطريقة البكاء على الموتى، وسنذكر البعض منها مع الشرح والتفصيل:« في ليلة ميلاد المسيح يأكلون نوعا من ثريد مصنوع من خضر متنوعة كالكرمب واللفت [...] ويضع الأطفال في اليوم الأول من السنة أقنعة على وجوههم [...] وفي يوم القديس يوحنا توقد نيران كثيرة من التبرع في جميع الأحياء»

وهذا يدل على أن أهالي فاس ما زالت لديهم عادات المسيحين، التي استوطنوهم, فيقومون باحتفالات مثل احتفالاتهم التي كانوا يقومون بها.

أما حزن الفاسيين فمبالغ فيه نوعا ما، ويعتبر من مخلفات الجهل والتخلف « تجتمع النساء إذا مات لهن زوج أو أب أو أخ ،مرتديات لباسا خشنا، ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور [...] وفي آخر كل بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن حتى يسيل منها الدم بغزارة، وينتفن شعورهن نائحات مولولات»

وهذه العادات محرمة في ديننا الإسلامي، وينهى عنها الله ورسوله عليه أزكي الصلاة والسلام ،لما تجلبه هذه الأخيرة من ضياع للناس، وغيرها من منعكسات غير مرغوبة ناتجة عن التخلف و الجهل.

وبعد انتهائنا من هذا الجزء ننتقل إلى جزء آخر الذي يتمثل في تلمسان وكيف هي عادات سكانها ومدنا ابتداءً بالملك ثم حاشيته وأفراد أعيانه فمن عادات ملك تلمسان أنه « يتبع ملك تلمسان مراسم شديدة ، فلا

[1] لحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج 1، ص254.

يظهر إلا للعظماء ولكبار الشخصيات من رجال حاشيته، ولا يستقبل إلاّ هؤلاء وحدهم ، وهم الذين ينجزون القضايا حسب النظام المقرر»[1].

وهذه لعادة وضعها الملك بنفسه فيجعل نفسه لا يتوارى إلا في أيام محدودة، ومناسبات معروفة، والأعيان هم المكلفون بجميع القضايا المختلفة.

هنا يشير الوزان إلى عدم التفصيل أكثر في عادات الملك والبلاط لأنه يقول بأنها تكاد تكون نفس العادات الموجودة في فاس أي متشابهة.

أما العادة الموجودة في مدينة المديّة، والتي يتصف سكانها بالثراء وكذلك الكرم والسخاء ،اتجاه الغرباء وفي هذا يقول الرحالة عنهم، في يوم مروره من المدينة أنه أحس بمرح ونشاط كبير ثم يشير إلى شيء وهو « إن الغريب إذا مر بالمدية يكاد سكاها يحبسونه بالقوة، طالبين منه بتوسل وابتهال أن يفصل في قضاياهم ويحرر عقودهم ويفتيهم في نوازلهم»[2].

فهؤلاء الأهالي من عاداتهم أنهم يكلفون الغرباء، بالحكم فيهم وهذا ربما من أجل الحصول على العدالة وإعطاء كل ذي حق حقه كونه هذا الأخير، لا يميز بينهم ولا يحكم بالعنصرية وهذا ما يجعلهم يتوسلون إليه، مثل ما جرى مع الرحالة.

والآن مع مملكة بجاية وتونس ،يكاد لا يذكر لنا لحسن عادات هاته الدولتين وهذا لارتكازه على وصفهما من الجانب الطبيعي والحضاري والثقافي .

فيذكر لنا في ذلك أهم الحروب التي جرت والأحداث التي مر، بها وعند مروره بمدينة قسنطينة يذكر لنا عادة من عادات أهلها، والتي كان يقوم بها النساء حيث يقول:« ومن عادات نساء هذه البلاد الفرار إلى جبل

[1] لحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج 2، ص22.
[2] نفسه ، ص41.

آخر إذا لم يرضين بأزواجهن وتترك المرأة الهاربة أولادها، وربما تتخذ زوجا آخر في الجبل الذي تقصده إذا كان عدوا لجبل زوجها ،وذلك ما يسبب الخصومات»[1].

ومن خلال هذا يمكننا القول بأن هذه العادة قبيحة، ولا يرضى بها الله ولا عباده لأنها تولد الحسد والبغضاء بين الأهالي، لدرجة الوصول إلى القتل والاعتداء على الأنفس والأرواح، وتوليد خصومات لا خروج منها وبعدما أنهينا من هذه المملكة ننتقل إلى البلاد المصرية وأهلها، من منا لا يعرف مصر"أم الدنيا" المعروفة منذ ميلاد البشرية والتي خلفت أساطير وحكايات بقيت تسير عبر الزمن، لما تركته في نفوس البشر وتستحوذ هذه البلاد على أضخم نهر في العالم ألا وهو نهر النيل، والذين يقدسونه أكثر من أي شيء بعد آلهتهم، وهذا لما يمدهم من خيرات لأهل البلاد، الذي يعتبر مصدر قوتهم ورزقهم على مدى العصور، وهم يقومون باحتفالات كبيرة عندما يفيض النهر « تقام بالقاهرة حفلة كبرى في الأيام الأولى لفيضان النيل [...] تأخذ كل أسرة زورقا تزينه بأرفع القماش وأزهى الزرابي [...] ويكون جميع السكان في الزوارق يتسلون حسب إمكاناتهم. ويشارك السلطان نفسه في الإحتفال مع أمرائه الكبار وضباطه».[2]

وهذه العادة يقوم بها أهل مصر تعبيرا على فرحهم الكبير من فيضان النيل، والذي سيعود عليهم بخيرات السنة وحتى السلطان نفسه ، يشاركهم الفرحة والإحتفال المعتاد.

بالإضافة إلى هذا يذكر لنا صاحب الرحلة بعض من عادات سكان مصر، حينما يصف لنا طبيعة أهلها وحياتهم يقول: « وإذا اتفق أن أحد الصناع أنجز في حرفته عملا جيدا مبتكرا لم يسبق أن شوهد له مثيل، ألبسوه سترة من ديباج وطافوا به من دكان إلى دكان مصحوبا بالموسيقيين في شبه جولة المنتصرين، وأعطاه كل واحد من المال »[3].

[1] لحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج 2، ص103.
[2] نفسه ، ص215
[3] نفسه ، ص218.

وتعتبر هذه الأخيرة عادة من عادات أهالي مصر، إذ يفتخرون ويحتفلون بالذي يأتي بشيء جديد والتي تعتبر صفة جميلة، إذ أنها تبعث على خلق روح المبادرة والتنافس، وتحصيل الأفضل وهذه من بين العادات المشهورة لبلاد مصر.

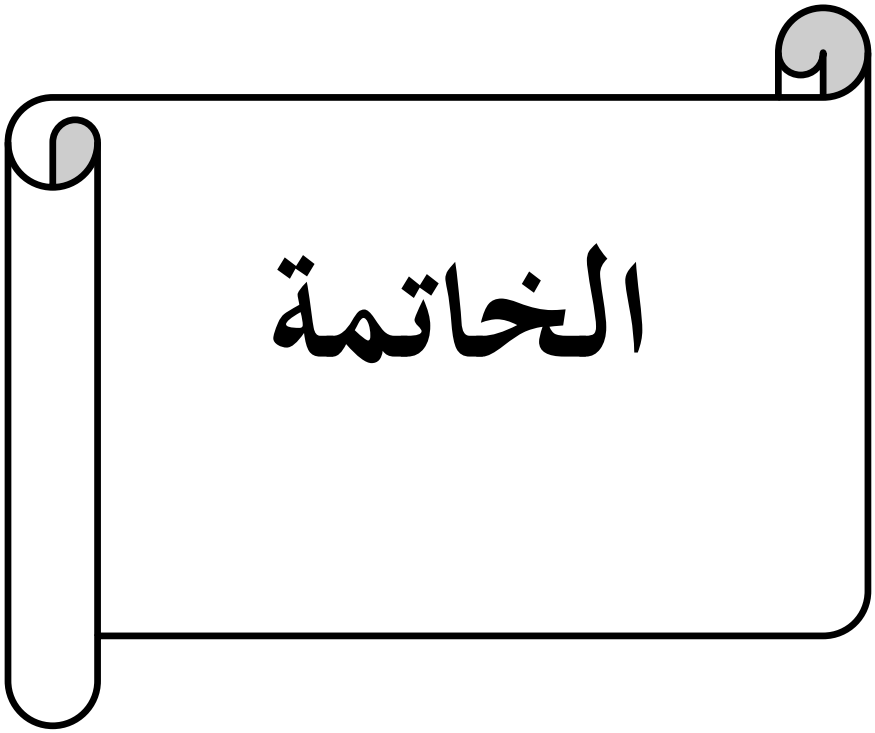
الخاتمة

خاتمة

ختاما لما اجتهدنا عليه توصلنا إلى مجموعة من النتائج نحاول إيجازها في نقاط ، بدءً بالفصل الأول:

1-تعتبر الصورولوجيا مفهومًا مرتبطًا أساسًا بصورة شعب لدى شعب آخر، ونقله لنا في شكل صورة، فيتضح لنا أكثر في شتى الجوانب.

2- الصورة مبحث ظهر في الآونة الأخيرة، وهي فن كباقي الفنون الأخرى، عرف تغيرًا منذ القديم حتى العصور الحديثة ، إذ لم تسجل له دراسات قديما، يقدمها لنا المتخصص، ليقرأها المتلقي.

3- عرف الإنسان الرحلة منذ أن وطأت قدماه سطح الأرض، فكان الترحال عنده كفطرة وغريزة ولدت معه، إذ لم يكتف بمكان واحد فقط، بل جال أنحاء العالم ،وهدا سعيًا وراء متطلبات الحياة.

4- أدب الرحلة هو نوع من الأدب، وفيه ينقل لنا الكاتب ما جرى له من أحداث ،وما صادفه من أمور خلال رحلة قام بها، لمكان ما ويعتبر أدبًا صادقًا، ذلك لأن الكاتب يتلقى المعلومات والحقائق من المشاهدة العينة، والتصوير المباشر، والذي يشجعه على مواصلة دراسته من أجل الإكتشاف والإطلاع.

5- لقد عرف العرب أدب الرحلات منذ القديم، والدليل على ذلك هو الرحلات التي قام بها عبر مختلف العصور، سواءً قبل الإسلام أو بعده، مثل رحلات قريش القديمة ،وكذلك الرحلات التي بدأ تدوينها من القرن الثالث هجري إلى القرن التاسع هجري،حتي وقتنا هذا.

6- أدب الرحلة في بداية مساره لم يحظ بدراسة كافية، خلافًا لباقي العصور التي والته والتي ازدهر فيها ليصل إلى أوج ذروته وتقدمه.

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب التطبيقي، نخلص إلى بعض النتائج منها:

1-يصورّ لنا الرحّالة الوزان في ضمن هذه الرحلة، عدة صور عن الآخر، انطلاقا من موقفه هو والذي يتمثل في الأنا، وكيف كان تعليقه على الآخر، إذ تراوحت بين القبول والرفض، وهذا لطبيعة الفوارق الموجودة بين الجنسين.

خاتمة

2- تجسدت صورة الغرائبية والعجائبية في النص الرّحلي لحسن الوزان بكثرة ،وهذا لطبيعة النص الرحلي ومتطلباته،فكان الرحالة يتفاعل مع مايراه مرة بالدهشة والإنبهار،ومرة أخري بالإستهزاء والحيرة.

3- استطاع الرحّالة أن يصوّر لنا الواقع الإجتماعي والثقافي والتعليمي في شمال إفريقيا، وكيف كان حال هؤلاء الشعوب من حيث الفقر، التعليم، اللباس، الأكل، الشرب والفنون، وكل هذا تجسد في مفهوم الأنثروبولوجيا.

4- رصدنا في هذه الرحلة صورا مختلفة حول عادات وتقاليد شعوب المغرب العربي، وكيف كانت ردّة فعل هذا الرحّالة اتجاهها انطلاقا من نفسه"الأنا".

كانت هذه مجمل النتائج التي توصلنا إليها من وراء بحثنا الموسوم ب: "**صورة المغرب العربي عند الرحالة المغاربة "لحسن الوزان"** التي نرجوا أن تكون فاتحة خير لآفاق جديدة تعمل على ضمان استمرارية البحث العلمي.

والحمد لله الذي أعاننا حين توكلنا عليه، ويسر لنا أمورنا حين سألناه التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش)

1-المصادر:

1. الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،وصف إفريقيا ،ج 1 ،ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان

2-المراجع العربية:

1. اغناطيوس كراتشكو فيكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، قسم 1، تر، صلاح الدين عثمان هاشم، (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
2. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت-لبنان-للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 (1403هـ/1983م) .
3. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، ط؟، يونيو 1989
4. خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، ط1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، 2017
5. سميرة أنساعد،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبيئة) دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 209
6. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المغرب، أبريل 2002
7. شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع، الطبعة الرابعة
8. صالح بريك ، الكره والتسامح مع الآخر ،منظور نفسي إجتماعي، خطوات للنشر والتوزيع ،دمشق ط1 ، 2010

9. عبد الباسط محمد حسين، أصول البحث الاجتماعي ،مطبعة لجنة البيان، القاهرة، 1966

عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام (أنواعها وآدابها)، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 1، 1416هـ-1996م

10. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرّحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 1416هـ-1996م

11. عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي، رحلة ابن خلدون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص

12. عبد الله خور رشد البري، القبائل العربية في مصر، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، 1993،

13. عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر، دحلب د /ط 2007.

14. علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية)

15. علي بن عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافية (في الحضارة العربية والإسلامية)، مكتبة التوبة، ط؟.

16. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ط2. ، يوليو 2002م.

17. ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،

18. مجدى وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1979،

19. محمد محمود الصّياد، تراث الإنسانية . رحلة ابن بطوطة ، المجلد الثالث، ط؟.

الرسائل والمذكرات:

20. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة، ينسج الواقع والخيال، مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة أستاذتي الآداب (الماجيستير) بيروت، لبنان، حزيران 2003

المجلات والرسائل:

21. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، الموسوعة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقي_الجمهورية التونسية، عدد1، 1988

22. عبد النبي ذاكر، الصورة الأنا، الآخر، منشورات الزمن، المملكة المغربية وزارة الثقافة، العدد 43 أكتوبر 2014م

23. محمد هادي مرادي، كاوه خضري إضاءات نقدية(فصلية محكمة)، السنة الرابعة العدد الخامس عشر-خريف 1393 ش/ أيلول 2014م

24. مهدي عيسى الصقر، الصورولوجيا في السرد الروائي، مجلة ديالي م د نوافل ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، 2012، العدد55.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: مفاهيم حول الصورة والرحلة.	
1-في مفهوم الصورة و الصورولوجيا.	**19**
1-1- الصورة وأنواعها.	**19**
2- مفهوم الصورولوجيا	**21**
3- مفهوم الرحلة.	**25**
3-1- مفهوم أدب الرحلة.	**27**
3-2- نشأة أدب الرحلة عند العرب.	**30**
3-3- أهم الرحالة المغاربة.	**43**
الفصل الثاني: تجليات الصورة في "رحلة وصف إفريقيا " للحسن الوزان.	
1-صورة الآخر عند حسن الوزان.	**57**
1-1-صورة الآخر المراكشي.	**59**
1-2- صورة الآخر الفاسي.	**61**
1-3- صورة الآخر التلمساني,	**62**
. 1-4- صورة الآخر البجاوي والتونسي	**65**

فهرس المحتويات

1-5- صورة الآخر النوميدي.	**67**
1-6-صورة الآخر المصري.	**68**
2- الصورة العجائبية عند لحسن الوزان.	**70**
3- الصورة الأنثروبولوجية عند لحسن الوزان.	**77**
4- الصورة الإثنوغرافية عند لحسن الوزان.	**88**
الخاتمة	**95**
قائمة المصادر والمراجع	**97**